الفكر الجدلي عند أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي من خلال مواده الجدلية

دراسة وصفية تحليلية

أ. د فهد بن عبد الله بن منيع المنيع

الأستاذ الدكتور بقسم الشريعة، كلية الشريعة والقانون، جامعة المجمعة.

ملخص البحث:

تعد كتابات وآراء وإضافات أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي، من المهمات في العلوم التي شارك فيها؛ بما امتاز به من ميزات الفهم والذكاء، والتمكن من جملة من العلوم، والقدرة على البحث والتحقيق والإضافة، ولاسيما في علم الأصول والجدل؛ وقد تناولت في هذا البحث مواده الجدلية من حيث موضوعاتها، ومصادر الفكر الجدلي عند ابن عقيل، وأسلوبه ومنهجه، وأبرز خصائص فكره الجدلي، إضافة إلى ذكر أهم المناظرات الجدلية الأصولية في كتابه الفنون.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الجدل، ابن عقيل الحنبلي.

الفكر الجدلي عند أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي من خلال مواده الجدلية

أ.د. فهد بن عبد الله المنيع

The dialectical thought of Abu Al-Wafa Ibn Aqeel through his dialectical materials

Descriptive analytical study

. Dr. Fahd bin Abdullah bin Muni' Al-Mani

Professor, Department of Sharia, Faculty of Sharia and Law, Majma'ah University.

Summary of the research: The writings, opinions, and additions of Abu Al-Wafa Ibn Aqeel Al-Hanbali are among the important matters in the sciences in which he participated. With the advantages of understanding and intelligence, mastery of a number of sciences, and the ability to research, investigate and add, especially in the science of dialectics; In this research, I have discussed his dialectical materials in terms of their topics, the sources of Ibn Aqeel's dialectical thought, his style and approach, and the most prominent characteristics of his dialectical thought, in addition to mentioning the most important fundamentalist dialectical debates in his book Al-Funun.

Keywords: thought, controversy, Ibn Aqeel al-Hanbali.

الفكر الجدلي عند أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي من خلال مواده الجدلية

أ.د. فهد بن عبد الله المنيع

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد...

فيمثل الفكر الجدلي بتجلياته ورسومه، طريقة النظر ومنهج التعامل مع الأدلة بناء واتساقا ومدافعة، ولذا اعتبر علم الجدل هو الميزان، والقسطاس، والمعيار الدقيق الذي يحتكم إليه المجتهدون والمدافعون عن مذاهبهم، واختياراتهم الكلامية، والأصولية، والفقهية، ومن أهم علماء الجدل الذين كان لهم أثر ومساهمة في علم الجدل؛ هو أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي؛ بما تميز به من إدراك واستيعاب للمصادر الجدلية السابقة له، وبمعرفته بحقائق المنهج، وتمكنه من أدواته، وما كان له من أثر بالغ في الفكر الجدلي الذي جاء من بعده، فتأتي هذه الدراسة لتكشف عن الفكر الجدلي عند ابن عقيل الحنبلي من خلال مواده الجدلية.

وتتبين أهمية الموضوع من خلال ما يلي:

١-أصالة الفكر، والنظر، والتجديد عند ابن عقيل في مقاربته لموضوعات الجدل في كتبه المختلفة.

٢-تقدم كتاباته وأهميته في بناء الفكر الجدلي، ووضع المراسيم الجدلية.

٣- قوة ووضوح الرأي النقدي لابن عقيل، وترجيحه في المسائل المختلفة.

الدراسات السابقة:

يعد أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي من أبرز العلماء الذين تميزت كتاباتهم في فنون مختلفة؛ غير أني لم أقف على شيء يتعلق بدراسة الفكر الجدلي، وخصائصه عند ابن عقيل بشكل خاص؛ ولذلك تأتي هذه الدراسة؛ لتحاول سبر مساهمة ابن عقيل في الفكر الجدلي من خلال مواده الجدلية.

منهج البحث وخطته

ستكون منهجية البحث قائمة على تتبع المواد الجدلية في كتبه ذات العلاقة، وهي: الجدل على طريقة الفقهاء، والمادة الجدلية في كتابيه: الواضح في الجدل، والفنون، ومن ثم ملاحظه موضوعاته الجدلية، وتوصيف ومقاربة قضاياه، وتحليل نصوصه التأسيسية الفارقة، وملاحظة مدى تأثيرها في بناء الفكر الجدلي، معتمداً في بناء البحث، وخدمة موضوعه الأساس، على المواد الجدلية من كتب ابن عقيل ابتداءً، من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: ترجمة موجزة لأبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي، والتعريف الموجز بكتبه ذات المادة الجدلية:(الواضح، والجدل على طريقة الفقهاء، والفنون).

المبحث الثاني: التعريف بمصطلحات البحث: الفكر، الجدل، الفكر الجدلي.

المبحث الثالث: الموضوعات الجدلية التي تناولها ابن عقيل في مواده الجدلية.

المبحث الرابع: مصادر الفكر الجدلي عند ابن عقيل.

المبحث الخامس: أسلوب ابن عقيل ومنهجه في البحث الجدلي.

المبحث السادس: خصائص الفكر الجدلي عند ابن عقيل.

المبحث السابع: أهم المناظرات الأصولية الواقعية في كتاب الفنون.

الخاتمة

المبحث الأول: ترجمة موجزة لأبي الوفاء ابن عقيل[١]، والتعريف الموجز بكتبه ذات المادة الجدلية: (الواضح، والجدل على طريقة الفقهاء، والفنون).

ابن عقيل: هو أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد الظَفَري البغدادي، ولد في بغداد سنة ٤٣١هـ، وهو الإمام الموصوف بالنباهة والذكاء، المتمكن في العلوم، المشهور بالمناظرة والقدرة على الجدل؛ بعد حيازته ووصوله مرتبة الاجتهاد في الأصول والخلافيات، تتلمذ وصحب أكابر العلماء؛ ولاسيما المبرزين منهم في الفقه، والأصول، والجدل، وأبرزهم: أبو يعلى الفراء الحنبلي(ت٤٣٦هـ)، وأبو الطيب الطبري (ت٤٥٠هـ)، وأبو إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، وأبو عبد الله الدامغاني (ت٤٧٨هـ)، وغيرهم كثير.

كان لابن عقيل عناية كبيرة بالجدل والمناظرة وتعلمها من شيخه المقدم في فن الجدل: أبو إسحاق الشيرازي، فنقل عنه قوله:" الشيخ أبو إسحق الشيرازي، إمام الدنيا وزاهدها، وفارس المناظرة وواحدها، كان يعلمني المناظرة، وانتفعت بمصنفاته، وأبو نصر الصباغ (ت٤٧٧هـ)، وأبو عبد الله الدامغاني، حضرت مجالس درسه ونظره، وأكبرهم سنا وأكثرهم فضلا: أبو الطيب الطبري... وكانت صحبتي له حين انقطاعه عن التدريس والمناظرة[٢]". وكان حريصا على حضور مجالس الجدل والمناظرة، ولاسيما المقدمين منهم كالجويني (ت٤٧٨هـ)، والغزالي[٣] (ت٥٠٥هـ)؛ ثم صار هو المقدم في هذا الفن، ووصف بمناظرته للفحول من العلماء[٤]؛ فقال بعض الواصفين له: ما رأت عيناي مثل الشيخ

---

(١) اقتصرت في ترجمته على ماله علاقة بموضوع البحث، ويكشف عن شخصيته العلمية، ويروزه في الجدل والمناظرة، معتمدا في ذلك على ما لاحظته من قراءتي لكتبه والتمعن في كلامه، ومحيلاً على أهم المصادر التي ترجمت له، وعليها عول أصحاب السير والترجمة. وهي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ١٧/١٧٩، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٤٤٥، ذيل طبقات الحنابلة – لابن رجب ١/ ٣١٦.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة – لابن رجب ١/٣١٦.

(٣) انظر حكاية شهوده لمجلس الجويني والغزالي في بغداد: ذيل طبقات الحنابلة – لابن رجب ١/٣٢٥.

(٤) كان كثير المناظرة لإلكيا الهراسي الشافعي، وكان إلكيا ينشده في المناظرة: ارفق بعبدك إن فيه فهاهة ... جبلية ولك العراق وماؤها. ذيل طبقات الحنابلة – لابن رجب ١/ ٣٢٦.

أبي الوفاء بن عقيل؛ ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه، وحسن إيراده، وبلاغة كلامه، وقوة حجته، ولقد تكلم يوما مع أبي الحسن إلكيا الهرّاسي (ت٥٠٤هـ) في مسألة، فقال الهرّاسي: هذا ليس بمذهبك، فقال: أنا لي اجتهاد متى ما طالبني خصمي بحجة؛ كان عندي ما أدفع به عن نفسي، وأقوم له بحجتي[٥]؛ ولذلك فقد وصف ابن عقيل بأنه يتكلم كثيرا بلسان الاجتهاد والترجيح واتباع الدليل الذي يظهر له، ويقول: الواجب اتباع الدليل، لا اتباع أحمد، وله مسائل كثيرة ينفرد بها، ويخالف فيها المذهب، وقد يخالفه في بعض تصانيفه، ويوافقه في بعضها، فإن نظره كثيرا يختلف، واجتهاده يتنوع[٦].

توفي رحمه الله سنة٥١٣هـ، وقد بلغ سن الثانية والثمانين.

وأما بالنسبة لكتاب الواضح في أصول الفقه؛ فهو كتاب وصفه كاسمه، متعلق بالمباحث الأصولية، وضمنها جملة كبيرة من مسائل الجدل؛ باعتبار أن الجدل عند ابن عقيل أداة من أدوات الاجتهاد، لبى فيه ابن عقيل طلب تلاميذه؛ بتأليف كتاب يكون واضحاً سهلاً في علم أصول الفقه[٧]، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يتعلق بأصول الفقه وبيان معناه، وذكر فصول في الحدود والعقود والحروف التي تدخل في أبواب الكتاب، وجميع ما يحتاج إليه من الألفاظ المتضمنة لمعاني لا يستغني عنها من أراد العلم بأصول الفقه، وفيه فصول في النسخ، وختم هذا القسم بذكر صفة المفتي والمستفتي[٨].

وأما القسم الثاني: فجعله ابن عقيل في الجدل ومسائله وقوانينه وآدابه؛ ملاحظة منه لاحتياج المجتهد إليه[٩].

---

(٥) انظر: المرجع السابق.

(٦) انظر: ذيل طبقات الحنابلة – لابن رجب ١/ ٣٤٨-٣٤٩.

(٧) انظر: مقدمة الواضح١/٥.

(٨) انظر: الواضح١/٢٨٧.

(٩) انظر: الواضح١/٢٩٦.

وأما القسم الثالث: فقد جعله لمسائل الخلاف؛ وابتدأه بذكر الأوامر والنواهي، وضمنه فصولا في فحوى الخطاب، والاستثناء، والمجمل، والمفسر، والمحكم، والمتشابه، وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، والأخبار، والإجماع، والقياس، والاجتهاد(١٠).

أما بالنسبة لكتاب الجدل على طريقة الفقهاء؛ فهو كتاب ذكر ابن عقيل أنه سيجعله للجدل على طريقة الفقهاء(١١)؛ باعتبار أن الجدل المذكور في الواضح على طريقة الأصوليين(١٢)، ولذلك فإن كتاب الجدل لم يحظ بمقدمة طويلة نظرية تأصيلية لعلم الجدل، بل اقتصر ابن عقيل فيه على مسائل مختصرة متعلقة بتعريف الاجتهاد والجدل، وبعض آداب الجدل وشروطه(١٣)، ثم شرع مباشرة في ذكر أقسام الأدلة الشرعية، ووجه الاعتراضات عليها، وطرق دفعها والتراجيح(١٤)، وسار فيه غالبا على طريقة شيخه أبي إسحاق الشيرازي في كتاب الملخص في أصول الفقه في

(١٠) انظر: الواضح٥/٣٥١.

(١١) وهو ما ذكره ابن عقيل في كتاب الواضح حين ذكرَ فصولَ صناعة الجدل؛ حيث بين أنه سيذكر جملة من مسائله على طريقة الأصوليين، وسيعقبه بمفرد على طريقة الفقهاء! والحق أنه لم يتبين للباحث الفرق في صنيعه؛ إذ إنه في كتاب الواضح ذكر فصولا موسعة في صناعة الجدل، أعقبها بذكر الأدلة الشرعية والاعتراضات عليها وفصول التراجيح، وهو ما فعله في كتاب الجدل على طريقة الفقهاء؛ إذ إنه ذكر أقسام الأدلة الشرعية والاعتراضات عليها والتراجيح، وليس ثمة فرق بين المواد الجدلية في الكتابين؛ باستثناء توسعه في المقدمات الجدلية في كتاب الواضح، وعلى هذا يمكن فهم صنيعه؛ بأنه جرد كتاب الجدل على طريقة الفقهاء من مباحث الجدل التأصيلية، وماله علاقة بالجدل الكلامي وأمثلته، وجعل غرضه ذكر أدلة الشرع، وما يمكن أن يعترض به عليها، وطرق الرد والترجيح. وهو في نظر الباحث تكرار. انظر: الواضح١/٢٩٦، الجدل على طريقة الفقهاء ص١.

(١٢) انظر: الواضح١/٢٩٦.

(١٣) انظر: الجدل على طريقة الفقهاء ص١/٢.

(١٤) انظر: الجدل على طريقة الفقهاء ص٣وص٢٠.

الجدل، وكتاب المعونة في الجدل، إلا أنه باعتباره على طريقة الحنابلة، فقد جعل الأمثلة المذكورة فيه متفقة مع مذهبه، دون اختلاف كبير في المنهج والأسلوب.

وأما كتاب الفنون؛ فهو الكتاب الموصوف بأنه أكبر المصنفات في تاريخ الإسلام(١٥)؛ حيث لم يلتزم ابن عقيل في كتابه هذا بفن محدد أو نسق مرتب؛ وإنما جعله كاسمه في فنون متعددة، وبحسب ما يسنح له ويعرض له في مجالس الجدل والمناظرة، والمذاكرة والمباحثة، وخواطر ذهنه وفكره المتقد، وما ينقله عن بعض العلماء والفضلاء؛ مما يختاره ويراه جيدا، وأما فيما يتعلق بالجدل والمناظرة؛ فإن كتاب الفنون جمع فيه جملة من المباحث النظرية والتأصيلية والقواعد والرسوم الجدلية؛ وذكر فيه ابن عقيل عددا كبيرا من المناظرات الجدلية في علم الكلام، والأصول، والخلافيات الفقهية؛ مما لا يكاد يجده الباحث في مكان آخر، ذاكرا في بعض الأحيان أسماء المناظرين، ومكان المناظرة ومجلسها وسببها(١٦)، ولذلك قال ابن الجوزي:" وكان له الخاطر العاطر، والبحث عن الغوامض والدقائق، وجعل كتابه المسمى بالفنون، مناظرا لخواطره وواقعاته، ومن تأمل واقعاته فيه عرف غور الرجل(١٧)".

وقال الذهبي عنه: "حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث(١٨) ". وقال ابن رجب:" وهو كتاب كبير جدا، فيه فوائد كثيرة جليلة.. وفيه مناظراته، ومجالسه التي وقعت له، وخواطره، ونتائج فكره، قيدها فيه(١٩)".

---

(١٥) انظر: تاريخ الإسلام٣٥/٣٥١.

(١٦) انظر على سبيل المثال المناظرة التي جرت بالمدرسة النظامية، يوم حضر رسول الملك إلى الإمام المستظهر بالله- المعروف بشمس الإسلام كيا الهراس وكافة مشايخ أهل العلم – وهي مسألة النية في الطهارة، واستدل فيها الشيخ الإمام أبو الحسن العبدري، واعتراض الشيخ الإمام إبراهيم الدهستاني. كتاب الفنون ١/١٦٩-١٧٠.

(١٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٧/١٨١.

(١٨) سير أعلام النبلاء ١٩/٤٤٥.

(١٩) ذيل طبقات الحنابلة – لابن رجب ١/٣٤٤

والحق أن كل هذه التوصيفات المذكورة يجدها القارئ في المتبقي من كتاب الفنون، فهو كتاب جامع للماجريات الحياتية في زمنه، ورصد فيها ابن عقيل ما يجري للعلماء في بغداد من مجالس العلم والجدل والمناظرة، وتجارب الحياة وتصاريف الدهر، وطبائع الناس. وقد بين ابن عقيل في فاتحة الفنون اهتمامه بعلمين على وجه الخصوص وهما:" علم الأصول، ومبناه على التأمل والاعتبار؛ وعلم الفقه، ومبناه على استخراج معاني الألفاظ الشرعية، وأخذ الأحكام من المنطوق به للمسكوت عنه، وذلك الذي شغلت به نفسي وقطعت به وقتي؛ فما أزال أعلق ما أستفيده من ألفاظ العلماء، ومن بطون الصحائف، ومن صيد الخواطر التي تنثرها المناظرات والمقابسات في مجالس العلماء ومجامع الفضلاء[٢٠]".

المبحث الثاني: التعريف بمصطلحات البحث: الفكر، الجدل، الفكر الجدلي

ولا: تعريف الفكر لغة واصطلاحا

الفكر لغة: تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر؛ إذا ردد قلبه معتبرا، ورجل فِكِّير: كثير الفكر[٢١]".

والفكر: إعمال الخاطر في الشيء[٢٢].

وأما الفكر في الاصطلاح، فقال الجرجاني (ت٨١٦هـ):" الفكر: ترتيب أمور معلومة؛ للتأدي إلى مجهول[٢٣]"؛ والفرق بين الفِكر بالكسر، والفَكر بالفتح، أن الأول: تردد القلب بالنظر والتدبر؛ لطلب المعاني. والثاني: مصدر فكرت في الأمر؛ من باب ضرب، ويقال: الفكر ترتيب أمور في الذهن؛ يتوصل بها إلى مطلوب، يكون علما أو

(٢٠) كتاب الفنون لابن عقيل ١/٧.

(٢١) انظر: مقاييس اللغة٤/٤٤٦.

(٢٢) انظر: لسان العرب ٥/٦٥، المعجم الوسيط٢/٦٩٨.

(٢٣) انظر: التعريفات ص١٦٨.

ظنا[٢٤]. وللفكر معان منها: حركة النفس في المعقولات؛ سواء كانت لتحصيل مطلوب أو لا. والثاني: الحركة من المطالب إلى المبادئ، ومن المبادئ إلى المطالب [٢٥]".

ومن هنا يتبين أن الفكر يطلق ويراد به في الاصطلاح: إعمال العقل، وما ينتج عنه من تدبر، ونظر، واجتهاد واستنباط، كما يسمى نتاج الفكر فكرا؛ تسمية للشيء باسم ما يصدر عنه، فيراد به نتاج الفكر، لا الفكر نفسه[٢٦].

ثانيا: تعريف الجدل لغة واصطلاحا

للجدل معان متعددة في اللغة، ومنها قولهم: جدلت الحبل: إذا فتلته وأحكمت فتله؛ وهو كذلك: مقابلة الحجة بالحجة [٢٧].

وأما في الاصطلاح؛ فقد تعددت عبارات المعرفين له؛ باعتبار نظرتهم لمعناه اللغوي، ولوظيفة الجدل والقصد منه؛ فمن تعريفاته: فتل كل واحد من المتناظرين صاحبه عن طريقته[٢٨].

وقيل: تنازع بين خصمين فصاعدا؛ ليظهر العلم أو الظن، بما وقعت المناظرة فيه[٢٩].

---

(٢٤) انظر: المصباح المنير ٢/٤٧٩، جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٣/٣١.

(٢٥) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٣/٣١.

(٢٦) انظر: الفكر الأصولي عند الإمام أحمد ص١٩وما بعدها.

(٢٧) انظر: لسان العرب ١١/١٠٣ومابعدها؛ آداب المناظرة ص: ٣.

(٢٨) انظر: عيار النظر في علم الجدل ص٢٠٥، تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول ص:٣١٥.

(٢٩) وهذا التعريف الذي اختاره ابن المعمار الحنبلي في مختصره ص٧٧.

وقد عرفه ابن عقيل في الواضح بأنه: نقل الخصم من مذهب إلى مذهب، وقيل: من مذهب إلى غيره بطريق الحجة[٣٠]. واصفاً هذا الحد بأنه حد الجدل المتحقق[٣١]. وعرفه في موضع آخر بأنه: الفتل للخصم عن المذهب بالمحاجة فيه[٣٢]، وهو ذات التعريف في كتابه الآخر: الجدل على طريقة الفقهاء[٣٣].

ويلاحظ بأن التعريف الأول فيه بيان غرض الجدل؛ وهو نقل الخصم من مذهب إلى غيره بطريق الحجة؛ وأما التعريف الثاني؛ فهو مقتصر على صرف الخصم عن مذهبه بالحجة؛ وليس فيه نقله من مذهب إلى آخر.

ومن جهة أخرى فإن التعريفين شاملين لأغراض المتجادلين؛ سواء كانت غرضا صحيحا أم فاسدا؛ باعتبار أن هذا ما يجري في مجالس الجدل؛ ولذلك فإن ابن عقيل اعترض على بعض أهل العلم الذين ذكروا بأن الغرض من الجدل إصابة الحق؛ معتبرا بأن هذا هو القصد من النظر[٣٤]؛ فالناظر غرضه هذا، بخلاف المناظر؛ غير أن ابن عقيل نبه إلى أن الغرض بالجدل من المنصف: نقل المخالف عن الباطل إلى الحق، وعن الخطأ إلى الإصابة، وما سوى هذا فليس بغرض صحيح، مثل بيان غلبة الخصم وصناعة المجادل[٣٥]؛ ولذلك اعتبر في كتابه: الجدل على طريقة الفقهاء؛ بأن المناظرة إنما وضعت لاستخراج حكم الله في الحادثة، وشبهها بالقضاء، وما يعتبر فيه من اعتدال الطبع[٣٦].

ثالثا: تعريف الفكر الجدلي

(٣٠) انظر: الواضح في أصول الفقه ١/٢٩٧.

(٣١) انظر: الواضح في أصول الفقه ١/٢٩٧.

(٣٢) انظر: الواضح في أصول الفقه١/٥١١.

(٣٣) انظر: الجدل على طريقة الفقهاء ص١.

(٣٤) انظر الفرق بين النظر والجدل: الفروق الجدلية، ضمن مجلة الجمعية الفقهية السعودية، العدد٦٠ ص٤٣.

(٣٥) انظر: الواضح في أصول الفقه ١/٢٩٧.

(٣٦) انظر: الجدل على طريقة الفقهاء ص٢.

مصطلح الفكر المضاف للعلوم ومنها الجدل؛ من المصطلحات الحديثة المعاصرة، وحين يُتحدث في منهجيات العلوم عن الفكر المضاف إلى فن من الفنون؛ فإنه يقصد به جملة الجهود التي بذلها العلماء، أو عالم معين في ذلك الفن، ونستطيع القول –ضمن الإطار الجدلي– بأنها: الجهود العقلية لعلماء الجدل في تقرير القواعد والقوانين والرسوم والمسائل الجدلية، وبيان مراد الأئمة من تلك القواعد، أو طريقتهم في الاستدلال بها، أو المناقشة والترجيح، أو ترتيب المسائل الجدلية وتنظيمها، وغير ذلك مما فيه إضافة وتجديد؛ سواء كان ذلك في المضمون أو الشكل؛ فكل ذلك يمثل الفكر الجدلي. ومن هنا يمكن أن نوضح المقصود بعنوان هذا البحث؛ وهو الفكر الجدلي عند ابن عقيل: فالمراد به: الجهد العقلي لابن عقيل في المسائل الجدلية، وما نتج عن هذه الجهود الجدلية، ودوره في تطوير علم الجدل.

المبحث الثالث: مصادر الفكر الجدلي عند ابن عقيل

ولد ابن عقيل سنة٤٣١هـ ، وتوفي سنة ٥١٣هـ، وهذه الفترة من القرن الخامس والسادس، تعتبر من أكثر الفترات خصوبة في علم الجدل؛ على مستوى الاهتمام والكتابة والتأليف، وعلى مستوى ممارسة المناظرات الأصولية والفقهية، وكثرة مجالس الجدل؛ وقوة الخلاف العقدي والمذهبي، إضافة إلى حضور الشخصيات الجدلية المؤثرة؛ فهذه الفترة الزمنية التي وجد فيها شيوخ ابن عقيل وقرناؤه من أهل الأصول والجدل، كأبي الطيب الطبري، وأبي يعلى الفراء، والخطيب البغدادي، وأبي إسحاق الشيرازي، إضافة إلى غيرهم كأبي منصور البغدادي، وأبي القاسم الإسكافي، والجويني، والغزالي، والدامغاني، وابن الصباغ، وكل هؤلاء علماء كبار؛ كان لهم باع كبير في الفقه والأصول والجدل، فكان من الطبيعي أن يهتم ابن عقيل تبعا لمشايخه، وتأثير عصره وزمانه بعلم الجدل، وقد احتوت كتبه الثلاثة: الواضح، والجدل على طريقة الفقهاء، والفنون؛ عدداً من القضايا والمسائل التي استنفدت جهود العلماء من المناطقة، والجدليّين، والفقهاء، والمتكلمين، وأهل اللغة، والتفسير، والتي تدل على وفرة المصادر التي كونت مخزونه الفكري، وإن كانت السمة الواضحة في مواد ابن عقيل الجدلية؛ أنه لا يحيل على كتب الجدليين أو يذكر أسمائهم؛ سواء في مقام التقوية لقوله، أو مناقشة أقوالهم، وإنما يكتفي غالبا بعرض المسألة من وجهة نظره محققاً، ومصوراً، وممثلاً للمسألة الجدلية، وحين يحتاج إلى الرد على بعض الأقوال أو الاستدلالات؛ فإنه لا يسمي صاحب القول؛ وهذا– في تقديري– راجع

إلى أن ابن عقيل أراد في مواده الجدلية أن يقدم خلاصة رأيه وتحقيقه في المسألة؛ دون أن يتوسع في ذكر الأقوال والمناقشات والأدلة؛ ولا سيما إذا كانت متعلقة بقول لا يراه صحيحا؛ فالجدل عنده أداة للاجتهاد، وهو أراد أن يبين كونه أداة وطريقة استخدامه؛ على وفق التحقيق والنظر السليم، دون بحث المسائل بذكر أصحابها، وأقوالهم، وأدلتهم.

ويظهر لي من خلال استقراء المواد الجدلية في كتب ابن عقيل؛ أن أهم المصادر التي اعتمد عليها في كتاباته الجدلية- إضافة لمشايخه المقربين له والمقدمين في علم الجدل، وهما: أبو يعلى الفراء، وأبو إسحاق الشيرازي-: هي تجربته وممارسته للمناظرات والمجادلات؛ وهذا ما يتبين كثيرا في كتاب الفنون؛ الذي نجد فيه جملة كبيرة من مناظراته الأصولية والكلامية والفقهية، بل والحياتية، وهي تعد رافدا كبيرا من روافد فكره الجدلي؛ ولذلك نرى انعكاس هذا المصدر؛ في أن المسائل الجدلية المذكورة في كتبه ليست مجردة تنظيرات وتأصيلات لا وجود لها في الواقع الجدلي، وإنما هي مسائل يكثر حضورها؛ ولها تأثير في ضبط قوانين ورسوم الجدل، أو تؤثر في سير العملية الجدلية؛ انقطاعا أو انتقالا أو مشاغبة، ولذلك نرى ابن عقيل يحيل في بعض مناقشاته لمسائل الجدل وقضاياه النظرية، ويستشهد بمناظرات حصلت له؛ ومن أمثلة هذا قوله في مسألة التعارض والترجيح وتكافؤ الأدلة، واستناده لتأملاته الشخصية: "ما تأملته من نفسي، وهو إذا خرجت قاصدا لأمر، فاعترضني القصد لأمر آخر، فلا أزال أخطو نحو الأرجح عندي، فتعرض لي مساواة الأمرين، فتوقفني جبرا عن الحركة، أصابني ذلك عدة دفعات، وهذا يؤيد أن لا ترجيح مع التكافؤ والمساواة[٣٧]".

ومن ذلك وصفه لمجالس الجدل النافعة لبعض أصحابه؛ على إثر كلام قاله رجل جاهل، وصفه ابن عقيل بالحشوي[٣٨]، حيث يقول:" فبينما نحن كذلك؛ إذ دخل الموضع حشوي جاهل؛ فحكينا له ما جرى، بعد أن سأل:

(٣٧) الواضح ١/٥١٣.

(٣٨) انظر وصف الحشوي وجملة من الأقوال الأصولية التي نسبت للحشوية: الأقوال الأصولية التي نسبت للحشوية: دراسة في أسباب ذكرها وحقيقة القول المنسوب ودلالاته، فهد بن عبد الله المنيع، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية العدد الثامن والثلاثون، الإصدار الأول ص ١٤٧٧-١٥٥٦.

فيم أنتم؟.. فقال لي قائل: المجالس عندك على الحقيقة ما هي؟ قلت: هي المجالس الجامعة للعقلاء المتحابين المتناصفين؛ حتى إذا جرت مذاكرة، أو حدثت حادثة، لم يشبها ضغينة فتفسد، ولا تحاسد فتخرج عن التحقيق وتبعد. وإنما اعتبرت العقل؛ لأنه أداة التمييز؛ وإنما اعتبرت التحاب؛ لأنه يزيل العنت والعناد، فخرج الكلام صافيًا(٣٩)".

ومن أمثلة ذلك: ما ذكره ابن عقيل في كتاب الفنون؛ حين أشار لما يكون عند حضور المجلس الجدلي؛ فقد يحكم الناس بالغلبة، لا على أساس الحجة والدليل! وإنما لأسباب أخرى، فقال:" بأن المخاصمة موازنة، فمتى خاصم الإنسان قبل موازنة الحال بالحال: غُلِب وخسر! فمن أشكال الرجال ما يكون مخاصُمه عنه! ومن أشكالهم ما يكون وبالاً عليه، فمن الناس من يكون له سمت، وعليه مِسحة من تواضع وذل! فمتى خاصمه من عليه سماء الجلادة؛ كان الناس كلهم مع صاحب السمت؛ لما يغلب على ظنهم من ضعف ذلك السمتيت، ووقارة وفورة ذلك الجلد وتسلطه؛ فمخاصم ذلك السمتيت معيناً على نفسه؛ حيث حمل الناس بخصومته على ظهره؛ ومن خاصم الناس خُصِم (٤٠)".

وهذا البناء والفهم الجدلي عند ابن عقيل حاضر بكثرة في مواده الجدلية؛ سواء حين كان يضع قواعد الجدل، ويبين رسومه ومواضعاته، أو حين يكون في مجلس الجدل سائلا أو مجيبا، وبناء على ذلك كان له قدرة على الإلزام؛ إن كان سائلا، أو الانفصال إن كان مجيبا، أو القدرة على دفع حيل المجادلين، ومن ذلك نصيحته لمن واجهه خصم جدلي حسن العبارة حيث يقول:" وإذا كان أحد الخصمين في الجدل حسن العبارة، والأخر مقصرا عنه في البلاغة، فربما أدخل ذلك الضيم على المعاني الصحيحة؛ والتدبير في ذلك: أن يقصد إلى المعنى الذي قد رتبه صاحبه بعبارته عنه، فيعبر عنه بعبارة أخرى تدل عليه من غير تزيين له، فإنه يظهر في نفسه ويبين العوار الذي فيه، وينكشف عند الحاضرين التمويه الذي وقع به. وكذلك إذا أردت أن تمتحن معنى قد أتى به بليغ، فانقله إلى غير تلك العبارة، ثم

(٣٩) كتاب الفنون ١/٢٦٣.

(٤٠) الفنون ص ٣١٦-٣١٧.

تأمله، فإن كان حسنا في نفسه فإنه لا يبطل حسنه نقله من عبارة إلى عبارة، كما لا يبطل حسنه نقله من الفارسية إلى العربية(٤١)".

ومن المهم في هذا الجانب: أن نبين أن علم الجدل مبني على قدر كبير من المواضعات، والرسوم الجدلية التي وضعها الجدليون (٤٢)؛ وابن عقيل من كبارهم؛ فكان من الطبيعي أن يكون قادرا على وضع قواعد ومبادىء ورسوم وقوانين جدلية، وطرائق للإلزام والتخلص؛ بما تميز به من وافر الذكاء والفهم والإتقان؛ للجانب النقلي والعقلي في الشريعة.

المبحث الرابع: الموضوعات الجدلية التي تناولها ابن عقيل

باستعراض المدونة الجدلية نجد أن الجدليين يهتمون بذكر جملةٍ كبيرةٍ من المقدمات، والمسائل، والعتبات، والحدود والمصطلحات، والقضايا الجدلية(٤٣)، غير أن الأساس الذي تقوم عليه عملية الجدل- وتبعتها صناعة التأليف الجدلي- هي السؤال والجواب الجدليين؛ لأن الجدل كله سؤال وجواب(٤٤)، وباستعراض المواد الجدلية عند ابن عقيل؛ نجد أنه لم يخرج في مواده عما ذكره أهل الجدل في مصنفاتهم، من حيث الموضوعات الأساسية والمسائل الجدلية؛ فبالنسبة لكتاب الواضح؛ فقد عقد ابن عقيل فصولا في كتابه، ضمنها موضوعات جدلية متعددة وأهمها: فصول في صناعة الجدل وحقيقته، وحد الجدل المتحقق، وغرض الجدل، وفصل في السؤال وأدوات السؤال الجدلي وجوابه. ومطابقة الجواب للسؤال، وتحديد السؤال للجواب، وجواب أقسام سؤال الجدل، وتحقيق الجواب وتحديده، وبيان الانتقال عن السؤال وتقاسيمه وإسقاطه، وفصول الحجة والشبهة

---

(٤١) الواضح ١/ ٥١٩-٥١٨.

(٤٢) انظر كلام الغزالي عن مواضعات الجدليين: شفاء الغليل ص٣٧٨ وما بعدها.

(٤٣) انظر على سبيل المثال: عيار النظر في علم الجدل ص١٣٠، الكافية ص١، المعونة في الجدل تحقيق تركي ص١٢٨؛ المقترح في المصطلح ص١٢٥ وما بعدها.

(٤٤) هذه عبارة أبي يعلى في العدة١/١٨٤، وكذلك للخطيب البغدادي في: الفقيه والمتفقه١/٥٥١.

والفروق بينها، وجوامع العلم بالحجة، وطرق استخراجها وأنواعها، والفرق بين طريقة الحجة في الجدل والمنطق، والكلام في بيان العلة والمعلول العقلية والشرعية، وإجراء العلة في المعلول، وما يفسد التعليل، وفي المعارضة وتقسيماتها، وفصول في القياس والاستدلال، وفصول الانقطاع وأنواعه، وفصل في بيان الأمور التي كثر غلط أهل الحجاج والجدال فيها، وآداب الجدل، ووصاياه، وفصل جامع لقوانين الجدل وآدابه، وفصل في ترتيب الخصوم في الجدل، وفصل في التحرز من المغالطة في الجدل. ويدخل ضمن هذه الفصول؛ موضوعات، ومسائل، ورسوم جدلية، استوفت جوانب التنظير والتأصيل للجدل الكلامي، والأصولي، والفقهي[٤٥]. ثم لما ذكر ابن عقيل أدلة الأحكام الشرعية وانتهى منها؛ ذكر فصولا في الاعتراضات التي تذكر على الأدلة، ومنها: الاعتراضات على الاستدلال بالكتاب، والاعتراضات على الاستدلال بالسنة، والاعتراض على الاستدلال بالإجماع، والاعتراضات على فحوى الخطاب ودليله، والأسئلة التي يعترض بها على القياس، ثم ذكر فصلا في الترجيح بين العلل، ثم ذكر فصولا تتضمن بيان الأسئلة الفاسدة كي تجتنب، ثم كرر فصلا في بيان الانقطاع، ثم فصولا في التراجيح[٤٦].

وبالنظر في موضوعات الكتاب؛ نجد أن ابن عقيل استوفى جملة كبيرة من المسائل الجدلية التي ذكرها المتقدمون عليه، وتوجد في كتب المتأخرين عنه.

وأما بالنسبة لكتاب الجدل على طريقة الفقهاء؛ فقد جعله ابن عقيل متعلقاً بطريقة الجدل الممارسة عند الفقهاء[٤٧]، واختصر كثيرا فيما يتعلق بالمقدمات النظرية؛ وركز على الأدلة الشرعية، والاعتراضات الواردة عليها، وطرق دفع الاعتراض، والترجيح، مع ذكر بعض المسائل المتعلقة بالجانب النظري للجدل في ثنايا ذلك؛ كالمسائل المتعلقة بأقسام السؤال، والانقطاع، والانتقال والمكابرة ونحو ذلك، غير أنها مختصرة جدا[٤٨]، ولذلك فلا يظهر وجود اختلاف بين كتابي الواضح والجدل على طريقة الفقهاء؛ إلا في جانب اختصار المقدمات التأصيلية النظرية في كتاب الجدل.

---

(٤٥) انظر فهرسة الواضح في خاتمة الكتاب، وما ذكره ابن عقيل في فاتحة المادة الجدلية من كتاب الواضح ١/٢٩٦.

(٤٦) انظر: الواضح ٢/١٢٧.

(٤٧) والفقهاء عنده تشمل الأصوليين وأهل الفقه.

(٤٨) انظر: الجدل على طريقة الفقهاء ص٤٢، ص٧٢.

وأما بالنسبة لموضوعات المادة الجدلية في كتاب الفنون؛ فلم تأت في سياق واحد، وإنما كانت منسجمة مع طريقة ابن عقيل في كتاب الفنون في البحث، وذكر المسائل على سجيته، ودون التزام ترتيب معين؛ وباستعراض كتاب الفنون كاملا، نجد أن الموضوعات الجدلية فيه جاءت على شكل مسائل وتنبيهات نظرية تأصيلية؛ وهي قليلة(٤٩)، وأما الجانب الأكبر من الموضوعات الجدلية، فجاء على شكل مجالس للجدل حصلت بحضوره، وكان في الأغلب مشاركا فيها، وهو يذكر مكانها وسببها أحيانا، وهي مناظرات كلامية، وأصولية، وأكثرها خلافيات فقهية.

ومن تلك المناظرات: مناظرة في تأخير البيان عن وقت الخطاب(٥٠)،وحجية القياس(٥١)،ودعوى العموم في المضمرات(٥٢)،ودلالة الأمر على الوجوب(٥٣) ودخول الآمر في الأمر(٥٤)، واستصحاب الحال(٥٥). ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن عمل ابن عقيل الجدلي مكتمل في هذه الكتب الثلاثة؛ من حيث تغطية الموضوعات الجدلية تنظيرا وتطبيقا؛ فقد كان من قصده أن يؤصل لعلم الجدل؛ ولا سيما في جانبه الأصولي والكلامي في كتاب الواضح، مستعرضا جملة كبيرة من المسائل والقضايا الجدلية، مع الحرص على تصويرها والتمثيل لها بمثال كلامي أو فقهي، وأما في كتاب الجدل على طريقة الفقهاء، فقد قدم له بمقدمة تأصيلية مختصرة جدا؛ لم تكن هي غرضه من الكتاب، وإنما كان غرضه أن يذكر الطريقة الجدلية الفقهية؛ من خلال ذكر الأدلة الشرعية وأبرز الاعتراضات الواردة عليها؛ وأما في كتاب الفنون؛ فهو كما تقدم كتاب جامع لقضايا مختلفة علمية شرعية، واجتماعية أخلاقية، ووعظية، والمادة الجدلية فيها تنقسم إلى قسمين: تنظيرات وتأصيلات مختصرة، وأكثرها تطبيقات ومناظرات ومجالس جدلية.

---

(٤٩) وسيأتي ذكر جملة منها في ثنايا البحث.

(٥٠) انظر: كتاب الفنون ١/٩.

(٥١) انظر: كتاب الفنون ١/١٣١.

(٥٢) انظر: كتاب الفنون ١/١٨٤.

(٥٣) انظر: كتاب الفنون ١/٢٧٣.

(٥٤) انظر: كتاب الفنون ١/٣٦٦.

(٥٥) انظر: كتاب الفنون ١/٤٣٦.

المبحث الخامس: أسلوب ابن عقيل ومنهجه[٥٦] في البحث الجدلي.

المنهجية الجدلية من أهم المنهجيات الفكرية الاسلامية، باعتبار أن الجدل في ذاته قائم على الضبط، وترتيب الكلام، وتخليصه من الفضول، والحشو، والأدلة الضعيفة، وقد كان ابن عقيل مستوعبا لهذه الحقيقة متمكنا من أدواتها، ومحيطا بأساليب من سبقه من الأصوليين من أهل الكلام والفقه والنظر بما امتلكه من علوم الشرع والعقل والصفات الذاتية من الفهم والذكاء.

وباستقراء مواده الجدلية: نلاحظ أن أسلوبه في معالجة الموضوعات الجدلية؛ كان قائما على الحرص على تسهيل العبارة ووضوحها، مبتعدا عن التعقيد الكلامي الموجود في كتب المتقدمين عليه، جاعلا من قصده أن يكون الكتاب قريبا إلى طريقة الفقهاء؛ وهو ما جعله ابن عقيل هدفا في كتابه حيث يقول:" فإن كثيرا من أصحابنا المتفقهة؛ سألوني تأليف كتاب جامع لأصول الفقه، يوازي في الإيضاح والبسط وتسهيل العبارة التي غمضت في كتب المتقدمين، ودقت عن أفهام المبتدئين... وأستوفي فيه الحدود والعقود، ثم أشير إلى الأقرب منها إلى الصحة، وأميز المسائل النظريات بدلائل مستوفاة، وأسئلة مستقصاة، ليخرج بهذا الإيضاح عن طريقة أهل الكلام وذوي الإعجام، إلى الطريقة الفقهية، والأساليب الفروعية[٥٧]"، وإذا كان هذا هو غرضه من الكتاب كله كما ذكر في مقدمته؛ فإنه كان على نفس الأسلوب في مواده الجدلية؛ سواء فيما يتعلق بالجانب النظري التأصيلي للجدل، وما ذكره من الأمثلة الأصولية والفقهية، أو ما كان في جانب ذكر ما يعترض به على الاستدلال بالأدلة الشرعية، وطرق دفعها، ونجد أنه إذا كان هناك صعوبة أو

(٥٦) هذه الملاحظات المنهجية متقاربة في كتابيه الواضح والجدل على طريقة الفقهاء، وأما كتاب الفنون فأغلب المادة الجدلية فيه تطبيقية –كما تقدم.

(٥٧) الواضح ١/٥.

تعقيد في الأسلوب لفظا أو معنى؛ فأن ذلك يعود إلى صعوبة الموضوع نفسه(٥٨)؛ ولعل هذا يفسر تكرار الكلام في بعض المسائل أكثر من مرة، والتمثيل لها بأمثلة مختلفة، في مواضع متعددة؛ مع كونها تعالج نفس المسألة(٥٩)!

ويظهر اهتمام ابن عقيل بالناحية الأسلوبية؛ من خلال ذكره لفصلٍ في التحصيل، ومعناه عنده: حذف فضول الكلام. وقيل: هو الاعتماد على المقصود دون الحشو والتطويل، ولا سبيل إلى ذلك مع التكثير إلا بالتماس الغرض ما هو، ثم التماس ما يحتاج إليه في الغرض، فحينئذ يقع التحصيل، ويصح التمييز(٦٠).

وعلى مستوى ملاحظة الأسلوب في عرض ابن عقيل لمسائل الجدل؛ فإن من البارز ظهور الجانب الأدبي الرشيق في عباراته- وهو المشهور بجمال الألفاظ والعبارات في كلامه، ومجالسه الوعظية- وميزة تلك العبارات أنها تختصر المعاني الكثيرة بعبارات مختصرة رشيقة- مع كونها قواعد وموازين جدلية، وقد نبه ابن عقيل على أهمية البيان في عملية الجدل وفائدتها؛ فقال في فصل الرياضة والتذليل للجدل:" اعلم أنه إذا كان في الرياضة للبيان عن الحق استدعاء إليه، وفي التعقيد وسوء العبارة تنفير عنه؛ فواجب على كل حليم أراد البيان عن الذي يأتي به من الحق، والتنفير عن الباطل الذي يأتي به الخصم، أن يستعمل الرياضة حتى تتذلل له العبارة ويتسهل له المستوعر منها، وحصول الرياضة بكثرة الدرس والمذاكرة، فهما الفاتحان لأبواب القرائح، والناقبان عن الأسرار، والمقربان للدلالة على المعنى بالألفاظ الوجيزة، والعبارة البليغة(٦١)".

(٥٨) انظر على سبيل المثال ما يتعلق بإجراء العلة في المعلول، وفصول الاستدلال: الواضح ١/٣٥٦، ١/٤٤٧.

(٥٩) ومما يلاحظ أنه ربما يكرر الكلام في مسألة واحدة، ويختلف قولها فيها، ومنها ذكره لضروب السؤال الجدلي؛ فقد ذكرها في موضع بأنها أربعة، وفي موضع آخر ذكر بأنها خمسة! انظر: الواضح ١/٣٠٣ والواضح ١/٣٠٦. وانظر كلامه المكرر عن مسائل الانقطاع: الواضح١/٤٢٧،٤٨٣،٥٠٥.

(٦٠) واعتبر ابن عقيل بأن التحصيل والتهذيب والتخليص نظائر. ويقال: هو نقي الكلام كثير الصواب. انظر: الواضح١/١٥٦. وذات المصطلح والمعنى. انظر: عيار النظر ص٢٢٤-٢٢٥.

(٦١) الواضح١/ ٥٢٧.

وهذا ما التزم به ابن عقيل في جانب التأليف الجدلي أسلوباً وبياناً؛ ولذلك حلّى كلامه بالعبارات الرشيقة – كما تقدم– ومن ذلك قوله على سبيل المثال:

١–:"إذا كان أحد الخصمين في الجدل حسن العبارة، والآخر مقصراً عنه في البلاغة؛ فربما أدخل ذلك الضيم على المعاني الصحيحة(٦٢)".

٢–: "التطفيف في الخطاب يعمي القلب عن فهم السؤال والجواب(٦٣)".

٣–: "في الغضب ظفر الخصم(٦٤)".

٤–:" وما قُرِع الناسُ في دفع الشبهة عن الحجة، إلا بإظهار الفرق (٦٥)".

٥–:" السؤال المضطرب لا يمكن أن يطابقه جواب مستقيم(٦٦)".

٦– : " القرائح واحدة، والمعدن واحد، وإنما يضلل أكثر الرجال الترك والإهمال (٦٧)".

٧–:" يستعمل في العبارة عن الحجة المجاز، ويجرى على عادة أهلها في الاتساع والإيجاز(٦٨)".

٨–:" الاعتراض يُخلِق الكلام، ويذهب بهجة المعاني بما يلجىء إليه من كثرة الترداد(٦٩)".

---

(٦٢) الواضح في الجدل ١/٥١٨.

(٦٣) الواضح في الجدل ١/٥٢٨.

(٦٤) الواضح في الجدل١/٥٢٥.

(٦٥) الواضح ٢/٣١٠.

(٦٦) الواضح١/٣٠٦.

(٦٧) الواضح ١/٣١٦.

(٦٨) الواضح ١/٣٤٩.

(٦٩) الواضح ١/٥٠٩.

٩-:" موضعٌ لم يتقدمْ تحصيله فلا تَستوحِشْ من وَحدَتِكَ فيه، ولا تَعتبرْ بكثرةِ ما يورَدُ عليك فيه، فإن لكلِّ شيءٍ أولًا، ولكلِّ أوَّل وقفَةٌ من المستوحَشِ منه، فلا يرُعْك ذلك(٧٠)".

١٠-:" المخالفة توحش(٧١)".

١١-: "إذا عرفت المطلب؛ اجتمع لك ذهنك، وقل تعبك، وظفرت ببغيتك، وسهلت عليك المسالك والجوابات، وانثالت عليك انثيالا (٧٢)".

١٢-:" ليس جواب من أنكر الحجة الواضحة، إلا الشجة الموضحة(٧٣)".

وغير هذه العبارات الجدلية في كلام ابن عقيل، ولاسيما في الواضح والفنون كثير جدا.

أما في منهج بحثه للمواد الجدلية؛ فيمكن ملاحظة مجموعة من الملاحظات المنهجية الأساسية، ومنها:

أولا: يلاحظ أن ابن عقيل ذكر مواد الجدل في كتابه الواضح، بعد أن ذكر فصلاً في بيان صفة المفتي، وهذا وقع قصداً منه؛ إذ إنه اعتبر بأن هذا هو الترتيب السليم؛ حيث قال ابن عقيل:" واعْلَمْ أنني لَمَّا قَدَّمتُ هذه الجملةَ من العقودِ والحدودِ وتمهيدِ الجدل، ومَيزْتها عن مسائل الخلافِ، رأيت أن أُشْفِعَها بذكر حدودِ الجَدَلِ، وعقودِه، وشروطِه، وآدابه، ولوازمِه؛ فإنه من أدواتِ الاجتهادِ، وأُؤخِّرَ مسائلَ الخلاف فيه؛ إلحاقاً لكلِّ شيءٍ بشكلِه، وضَم كل شيءٍ إلى مثله، فجمعت بذلك بين قواعدِ هذين العلْمين -الأصول والجدلِ- واخَرْتُ مسائلَ الخلافِ فيهما، فإن الأصول بالأصول أشْبهُ، وإليها أقربُ، والخلاف بالخلافِ

(٧٠) الواضح١/٤٦٩.

(٧١) الواضح١/٥١٧.

(٧٢) الواضح ١/٣١٦.

(٧٣) الفنون ٢/ ٦٩٨.

أشبهُ [٧٤]"، وهذا ما ألمح له في كتابه الآخر الجدل على طريقة الفقهاء؛ فمع أن المقدمات فيه مختصرة جدا؛ إلا أنه ذكر في طليعته فصلاً في الاجتهاد معرفاً له، ثم ذكر بعده مباشرة تعريف الجدل[٧٥].

ثانيا: قسم ابن عقيل كلامه في الجدل إلى فصول كثيرة متعددة، وتختلف هذه الفصول في مضمونها؛ فقد يشمل الفصل الواحد تعريفا أو حدا من الحدود فقط[٧٦]، وبعضها فيه فرق من الفروق الجدلية[٧٧]، وبعضها فيه ذكر نظائر جدلية[٧٨]، وبعضها فيه ذكر مسألة لغوية مرتبطة بمعنى جدلي[٧٩]، وبعضها فيه ذكر لتقسيماتٍ جدلية[٨٠]، وبعضها فيه استدلالٌ واحتجاج[٨١]، وتتفاوت هذه الفصول طولاً وقصراً، فبعضها في سطرٍ[٨٢]،وبعضها في صفحاتٍ مطولة[٨٣].

(٧٤) انظر: الواضح في الجدل ١/٢٩٥.
(٧٥) انظر: الجدل على طريقة الفقهاء ص١.
(٧٦) انظر: الواضح ١/٢٩٧.
(٧٧) انظر: الواضح ١/٢٩٧.
(٧٨) انظر: الواضح ١/٢٩٨.
(٧٩) انظر: الواضح ١/٣٠٠.
(٨٠) انظر: الواضح ١/٣٠٢.
(٨١) انظر: الواضح ١/٣٠٣.
(٨٢) انظر: الواضح ١/٢٩٧.
(٨٣) انظر: الواضح ١/ ٣٥٦ و١/٤٤٧.

ولا يظهر أن ابن عقيل في هذه الفصول يلتزم بترتيب واضح في دراسة المسألة الواحدة، أو بترتيب المسائل المختلفة بشكل صارم؛ بحيث يستطيع الناظر أن يتوقع نفس الطريقة في دراسة المسائل المختلفة، وإنما يغلب على الظن أنه يذكر المسائل بحسب ما يلوح له دون التزام الترتيب وحسن العرض(٨٤).

وهذا الأمر موجود في كتاب: الجدل على طريقة الفقهاء، مع كون موضوعات الكتاب الأساسية محددة وقليلة، وأمر الترتيب سهل ولا يحتاج إلى عناء، ومع ذلك فقد يُغفِل وضع فصل في مكانه(٨٥).

ويظهر لي أن السبب في ذلك؛ يعود إلى طبيعته الموسوعية، واعتماده على ذاكرته وما يسنح له من الأفكار، وهو يحب هذا النوع من البحث والعرض للمسائل؛ ولذلك وضع كتاب الفنون؛ إذ لا التزام بفن ولا بحث ولا ترتيب معين؛ وإنما يذكر ما يعرض له ويحب تدوينه، وقد ينتقل من مسألةٍ كلاميةٍ إلى أصوليةٍ إلى تجربةٍ حياتيةٍ أو نقلٍ أعجبه، دون رابطٍ واحد(٨٦).

ثالثا: يذكر ابن عقيل الحدود والمصطلحات، والنظائر والفروق الجدلية، والمعاني اللغوية، وقد يذكر الحد في أكثر من موضع، مع اختلاف يسير في العبارات، وبما لا يختلف مع رأيه وتحقيقه، وربما في مناسبات قليلة ذكر تعريفا مخالفا لما يراه مع تضعيفه له(٨٧)، وقد ذكر ابن عقيل قليلا من الحدود الجدلية ضمن الفصلين اللذين وضعهما في مقدمة

(٨٤) وهذا مما لا يحتاج إلى تمثيل؛ فالكتاب غالبه يجري على هذا النحو، ويمكن في هذا الإطار، المقارنة بين كتاب عيار النظر، لأبي منصور البغدادي وحسن ترتيبه وعرضه لمسائل الجدل مع طول الكتاب، مع الواضح لابن عقيل.

(٨٥) ولذلك فقد ذكر فصل ترجيح السنة أثناء بحثه لترجيح العلل، وكان يجدر ذكره بعد فصل ترجيح الظواهر، من القرآن. فقال:" فصل كنت أغفلت تقديمه وهو ترجيح السنة". انظر: الجدل على طريقة الفقهاء ص٢٤.وانظر مثالا آخر ص٤٢.

(٨٦) انظر فهرس كتاب الفنون ص٨٠٣.

(٨٧) انظرالواضح١/٣٥٧.

الكتاب معنونا لأحدهما بقوله:" فصول في بيان حدود، ورسوم، وحُصور، لا يستغنى عن بيانها، لحصولها مبددة في الكتاب، واستناد الأبواب والفصول إليها، واعتمادنا في هذا الكتاب عليها(٨٨)".

والآخر:" فصول في جمع الحدود والعقود والحروف التي تدخل في أبواب الكتاب، وجميع ما يحتاج إليه من الألفاظ المتضمنة لمعان لا يستغني عنها من أراد العلم بأصول الفقه(٨٩)"؛ ومع ذلك فإن أكثر الحدود الجدلية إنما ذكرها بعد ذلك، عند بحثه لمسائل الجدل(٩٠).

رابعا: يقوم ابن عقيل بتصوير بعض المسائل وتوضيحها بالأمثلة حسب أهميتها ومدى تعقيدها، إذ إن ابن عقيل يؤكد في بعض المسائل على التباسها حتى على الجدليين، وجعل من مقصده تبيينها بشكل واضح. ومن أمثلة ذلك: تنبيهه على مسألة كثر فيها غلط الأصوليين؛ وهي مسألة الاستدلال بفساد الشيء على صحة غيره فقال:" "فصل: كَثرَ فيه غَلَطُ الأصوليين حتى قال فيه بعضُ المشايخِ الأصوليين: لا اعرفُ أحداً ممن مضى من المتكلَمين إلا وقد غَلِطَ فيه لدِقةِ مَسْلَكِهِ، وغُموضِ مَأخَذِه... وسأوضحُ منه بغايةِ وُسْعي ما أضعُكَ فيه على الواضحةِ(٩١)".

ولما ذكر فصلا في مطابقة الجواب للسؤال؛ هو كونه على ما اقتضاه من غير تغيير في لفظه ولا في معناه. وذكر له أمثلة، بين سبب ذلك بقوله:" وإنما ضربنا لك الأمثلة؛ لأن قوما يجيبون مثلها، ويعتدونها أجوبة(٩٢)".

فالمثال حاضر بقوة في منهجه الجدلي؛ باعتباره ضروريا لفهم المسألة الجدلية.

---

(٨٨) الواضح١/٤٦.

(٨٩) الواضح١/٩٠.

(٩٠) انظر على سبيل المثال: الواضح١/٢٩٧/٢٩٨/٣٠٠/٣٠٦/٣١٦.

(٩١) الواضح في أصول الفقه ١/٤٦٧.

(٩٢) الواضح١/٣٠٢.

خامسا: يذكر ابن عقيل القول المحقق عنده ابتداء؛ سواء في الحدود، أو الأقوال، أو الفروق، أو التقاسيم المختلفة، وليس من اهتمامه ذكرُ الأقوال المخالفة، وإذا ذكر شيئا منها، فيكون على وجه الاختصار، وبيان ضعفه وصحة اختياره(٩٣).

سادسا: يبين ابن عقيل في بحثه للمسائل الجدلية أثرها وفائدتها سواء في جانب إظهار الحق، أو الظفر بالمناظرة، أو تصحيح القصد، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، أو ما يقابل ذلك من آثار ترك ما ينبغي التزامه في مجلس الجدل؛ ومن ذلك قوله:" ليس على المسؤول أن يجيب السائل عن كل ما يسأله عنه، وإنما عليه أن يجيبه فيما بينه وبينه فيه خلافٌ، لتظهر حجته فيه، وسلامته من المطاعن عليه، وإلا خرج عن حد السؤال الجدلي(٩٤)".

ولما بين أقسام السؤال والجواب قال:" واعلم أنك إذا سلكت هذا، وعلمت أن السؤال والجواب لا يخرجان عن هذه الأقسام، ولا يتوجهان إلا على هذه الوجوه، فلا تلتمسها من غيرها، واصرف فكرك في طلبها، فإنك إذا عرفت المطلب؛ اجتمع لك ذهنك، وقل تعبك، وظفرت ببغيتك، وسهلت عليك المسالك والجوابات(٩٥)".

ولما بين طريقة إسقاط السؤال الجدلي قال:" فاعرف هذه الطريقة في الجدل، فإنها طريقة حسنة تلجئ المبطل إلى مثل جواب المحق، وإذا خفت أن يلتبس الأمر على بعض من حضر، فلا بأس أن تجيب بعد البيان لإسقاط السؤال(٩٦)".

المبحث السادس: خصائص الفكر الجدلي عند ابن عقيل

أولا: الإحاطة، والاستيعاب لمسائل الجدل تنظيرا وتطبيقا

جرت عادة الأصوليين أن يميزوا بين مسائل أصول الفقه والجدل؛ فيفردون هذا بالتأليف وهذا بالتأليف، وحين يذكرون شيئا من مسائل الجدل؛ فهم يقتصرون على جملة منه؛ يرونها من مسائل أصول الفقه أو ضرورية لفهمه؛ كمثل

(٩٣) انظر: الواضح١/٣٥٧.
(٩٤) الواضح١/٣٠٩.
(٩٥) الواضح١/٣١٥-٣١٦.
(٩٦) الواضح١/٣١٩.

مباحث الاعتراض على القياس[٩٧]. وعلى مستوى التأليف الجدلي المفرد؛ نلاحظ أن الكتب الجدلية تسير على منهج التأصيل والتنظير لمسائل الجدل، مع ذكر أمثلة كلامية، أو أصولية، أو خلافيات فقهية؛ لتوضيح المقصود بالمسألة المبحوثة[٩٨]، وبالمقارنة مع مواد ابن عقيل الجدلية في كتبه: نجد أن إضافته في علم الجدل مختلفة؛ إذ إنه غطى جوانب الجدل كلها؛ ففي كتابه الواضح جعل من مقاصده؛ أن يذكر مسائل أصول الفقه ومسائل الجدل؛ باعتبار أن مسائل الجدل من أدوات المجتهد؛ ولهذا ذكرها بعد فصلِ صفةِ المفتي[٩٩]، واستوعب ابن عقيل في كتاب الواضح جملة كبيرة من المسائل الجدلية النظرية المتعلقة بحدوده، وعقوده، ورسومه، وضوابطه، وقوانينه، ومهاراته، مركزا على السؤال والجواب الجدليين؛ باعتبار أن الجدل كله سؤال وجواب، منبهاً على أخطاء تقع من الفقهاء والأصوليين والجدليين في فهم بعض المسائل الجدلية، مع التركيز على مقاصد الجدل الصحيحة والخاطئة، والتنبيه على آداب وأخلاق الجدل، وما ينبغي أن يتحلى به المجادل، ثم ذكر عقيب ذلك أدلة الاحكام الشرعية، وما يمكن أن يعترض به عليها، وطرق دفع الاعتراضات. والمادة الجدلية في الواضح مقاربة للكتب الجدلية الأخرى؛ من حيث تغطيتها لقضايا الجدل.

وأما في كتاب الجدل على طريقة الفقهاء؛ فقد جرده للجدل الفقهي بعيداً عن التنظير، والتفصيل المطول، ومبعداً عن الجانب الكلامي، ولا سيما في التمثيل[١٠٠]. ثم أكمل هذا المشروع في تغطية علم الجدل تطبيقاً في كتاب الفنون؛ الذي ذكر فيه جملة كبيرة من المناظرات والماجريات الجدلية الكلامية، والأصولية، والفقهية، الواقعية بين الفقهاء من مختلف المذاهب العقدية، والاتجاهات الأصولية والمذاهب الفقهية، وهي مناظرات حدثت؛ ولذلك يحرص ابن

(٩٧) انظر: المستصفى ص:٣٤٢. وشرح مختصر الروضة ٤٥٩/٣.

(٩٨) انظر: عيار النظر في علم الجدل وسير مؤلفه وطريقته فيه.

(٩٩) تقدم ذكر هذا الجانب في المباحث السابقة.

(١٠٠) تقدم ذكر هذا حين الحديث عن كتابه: الجدل على طريقة الفقهاء.

عقيل على ذكر مكان بعضها، وبيان سببها، ويسمي أحيانا أطراف المناظرة، وهو في الغالب مشارك فيها؛ وإن كان يسمي نفسه بالحنبلي، أو حنبلي محقق(١٠١).

والحق أننا لا نجد مثالاً آخر عند علماء آخرين؛ مطابقا لمثل هذه المادة الجدلية بنفس القدر والتوسع(١٠٢).

وحين يقرأ المهتم بالجدل في مواد ابن عقيل الجدلية؛ يجد أن البناء الجدلي مكتمل في جوانبه النظرية والتطبيقية، بشكل يجعله قادرا على استيعاب طبيعة الجدل في ذلك الوقت؛ سواء على مستوى البحث النظري أو الجانب التطبيقي، كما يكون بمقدوره معرفة المسائل التي دار حولها الجدل في ذلك الزمن، ولاسيما في الجدل الأصولي، أو الخلافيات الفقهية.

ثانيا: الاستقلالية والبعد عن التعصب

يؤكد الجدليون بأن الغرض من الجدل وطبيعته: هو نقل الخصم من مذهب إلى غيره بطريق الحجة(١٠٣)، وابن عقيل يعتبر أن: "غرض السؤال تصحيح المذهب وإبطال ضده، فإذا كان بخلاف هذه الصفة؛ فهو ساقط(١٠٤)"، وهذا مقتضٍ لنوع من التمسك بالقول والدفاع عنه، وقد يحصل فيه نوع من التعصب، غير أننا نلاحظ في سمات الفكر الجدلي عند ابن عقيل في كتبه، جانب الموضوعية والبعد عن التعصب، ويظهر ذلك من خلال طريقته في النظر للمسائل، والمذاهب والترجيح بينها؛ بحسب ما يتبين له؛ فهو مستقل في أرائه وترجيحاته، وهذا هو المتفق مع

---

(١٠١) انظر: الفنون ١/٦٣٩.

(١٠٢) وأقرب ما نجده لمثل هذا الوفاء بالمادة الجدلية عند الإمام الغزالي؛ فله كتبٌ جدليةٌ مثل كتاب: المنتخل، وله في جانب التطبيق: كتاب: شفاء الغليل، وهو خاصٌ بمسألةٍ أصوليةٍ واحدة. وكذلك الفخر الرازي؛ فله كتب تنظيرية للجدل، مثل كتابه: الكاشف، وله في الجانب التطبيقي: مناظرات الفخر الرازي في بلاد ما وراء النهر، ومادتها التطبيقية أقل تنوعا وحجما مما ذكره ابن عقيل.

(١٠٣) انظر: الواضح في أصول الفقه ١/٥١١.

(١٠٤) الواضح ١/٣٩١.

سيرته؛ ومن ذلك ما نُقِل عنه لما تكلم يوما مع أبي الحسن إلكيا الهرّاسي في مسألة، فقال له إلكيا: هذا ليس بمذهبك. فقال له أبو الوفاء: أكون مثل أبي علي الجبائي، وفلان، وفلان لا أعلم شيئا؟ أنا لي اجتهاد، متى ما طالبني خصمٌ بحجة، كان عندي ما أدفع به عن نفسي وأقوم له بحجتي. فقال الهرّاسي: كذلك الظن بك(١٠٥).

وتقدم وصف ابن عقيل بأنه يتكلم كثيرا بلسان الاجتهاد والترجيح واتباع الدليل الذي يظهر له، ويقول: الواجب اتباع الدليل، لا اتباع أحمد، وله مسائل كثيرة ينفرد بها، ويخالف فيها المذهب، وقد يخالفه في بعض تصانيفه، ويوافقه في بعضها، فإن نظره كثيرا يختلف، واجتهاده يتنوع، وكان يقول: عندي أن من أكبر فضائل المجتهد أن يتردد في الحكم عند تردد الحجة والشبهة فيه، وإذا وقف على أحد المترددين؛ دله على أنه ما عرف الشبهة، ومن لا تعترضه شبهة ولا تصفو له حجة، وكل قلب لا يقرعه التردد، فإنما يظهر فيه التقليد والجمود على ما يقال له، ويسمع من غيره(١٠٦).

وهذا المنقول في سيرته؛ هو المتفق مع ما نجده في مواده الجدلية النظرية والتطبيقية، ومن أمثلة ذلك قوله:" جئنا إلى أحمد –رضي الله عنه– وهو إمام السنة، لم يسلك في اعتقاده تعظيم الرجال، ولا تقليد الأكابر، ولم ينظر سوى الدليل. فيجب ألا نخالفه، كما لم يخالف من قبله(١٠٧)".

– ومن ذلك: اعتباره أن كل قضية جدلية لابد أن تستند إلى شهادة حجة صحيحة؛ حيث يقول: "وكل قضية فإنها لا تخلو من أن يكون لها شهادة، أو لا يكون لها شهادة، فإن كان لها شهادة، فهي لا تخلو من أن تكون حجة أو شبهة، وإن لم يكن لها شهادة خرجت منهما جميعا، ولم يتكلم عليها إلا على طريق الشغب في المناظرة.. ولا معنى للاشتغال به في الجدل(١٠٨)"، وحين بين معنى الانقطاع وأسبابه، ومنها: فساد المذهب قال:"" فلا

(١٠٥) انظر: تاريخ الإسلام٣٥١/٣٥.

(١٠٦) انظر: ذيل طبقات الحنابلة – لابن رجب ٣٤٨/١-٣٤٩.

(١٠٧) كتاب الفنون ٦٠٦/٢.

(١٠٨) الواضح٣٣٣/١.

عيب على صاحبه بالانقطاع فيه؛ إذا كان لم يقصر عما يحتمله من الشبه، وإنما العيب عليه في نصرته، لأن من نصر المذاهب الباطلة، معيب عند أهل العقل والمعرفة، عاص لله سبحانه؛ إذ كان الله سبحانه قد أخذ على الناس أن يلازموا الحق في قولهم وفعلهم(١٠٩)".

– كما يتبين هذا الجانب من خلال انتقاده لمنهج بعض الفقهاء؛ حين يصحح العلل من المذهب! والمفترض أن تؤخذ المذاهب من العلل، وابن عقيل يعتبر هذا من القبيح في علم الجدل؛ حيث كان تصحيحا للدليل بالمذهب، والمذاهب تؤخذ من الأدلة، فأما أن تؤخذ الأدلة أو تصحح من المذاهب فكلا(١١٠).

– كما أنه اعتبر التقليد من أعظم الآفات التي تحول دون إصابة الحق فقال:" ومن أكبر الآفات: الإلف لمقالة سلف، أو السكون إلى قول معظم في النفس لا بدليل، فذلك من أعظم ما يعترض؛ فيحول بين إصابة الحق، فإذا عالج الآفة ودفع الشبهة، عاد مفيقاً من سكر الهوى إلى التأمل ثانيا لتلك الحجة(١١١)".

– وقال وهو يستعرض المذاهب وأسباب قوتها: "إذا كانت المذاهب تنتصر بوصلة هي ...الكثرة، أو حشمة الإنعام، فلا عبرة بها. إنما المذهب ما نصره دليله؛ حتى إذا انكشف بوحدته ساذجاً من ناصر محتشم ومال مبذول، كان طاهراً بصورته في الصحة والسلامة من الدخل والاعتراضات؛ كالجوهر الذي لا يحتاج إلى صقالة وتزويق، والحسن الذي لا يحتاج إلى تحسين. ونعوذ بالله من مذهب لا ينتصر إلا بوصلة؛ فذاك الذي إذا زال ناصره أفلس الذاهب إليه من الانتصار بدليل، أو وضوح تعليل(١١٢)".

---

(١٠٩) الواضح١/٤٨٤.

(١١٠) انظر: الواضح ١/٣٥٧.

(١١١) الواضح١/٤٨٨.

(١١٢)كتاب الفنون ١/٢٣٧.

– وفي الجانب التطبيقي نجد هذا حاضرا؛ فهو يقوي بعض الأقوال المخالفة لمذهبه(١١٣)،كما أنه في بعض المناظرات يحكي عن خلاف بين حنبلي وشافعي، وعن تدخل حنبلي آخر(١١٤) إعانة للشافعي(١١٥)، وتارة يحكي مناصرة حنبلي لمذهب الشافعي أمام مناظر من الحنفية(١١٦)، وتارة يحكي انتصار حنبلي لمذهب الكرخي(ت٣٤٠هـ) والرازي (٣٧٠هـ)، أمام حنبلي ينصر مذهب أحمد(١١٧)، وتارة يحكي خلافا بين حنفي وشافعي؛ فتدخل حنبلي محقق(١١٨)، نصر مذهب الشافعي تذنيبا– مع كون مذهبه كمذهب الحنفي(١١٩)،وحكى مرة استدلال حنبلي مجود، فاعترض عليه حنبلي ذنّب عن حنفي، وله قدم في النظر وتجويد طريقتي العراق وخراسان(١٢٠). وغير هذا كثير في المناظرات المحكية عنده(١٢١).

ثالثا: اهتمامه بالمعاني اللغوية والاصطلاحية، والتفريق بين المصطلحات المتشابهة، وذكر النظائر

من ملامح الفكر الجدلي لدى ابن عقيل خصوصا، هو الاهتمام البالغ بذكر المعاني اللغوية ومدلولاتها، والحدود والتعريفات والمصطلحات الجدلية الضابطة؛ وهذا جزء من منهج وطريقة المتكلمين في تناول المسائل الأصولية والجدلية، فعملية الجدل قائمة على الاهتمام بالألفاظ والمعاني، والتعبير باللفظ المناسب عن المعنى الصحيح، والخطأ في أحد الجانبين قد يجعل المناظر يُغلب في مجلس الجدل؛ لا لضعف مذهبه أو قوله؛ وإنما لتقصيره في الألفاظ والمعاني.

---

(١١٣) كتاب الفنون ١/٢٥٣.

(١١٤) يظهر لي من تتبع طريقة ابن عقيل أنه يعني به نفسه. انظر الفنون١/٣٤٩.

(١١٥) انظر: المرجع السابق.

(١١٦) انظر: الفنون١/٨٢.

(١١٧) انظر: الفنون١/٢٨١.

(١١٨) يظهر لي أنه ابن عقيل كما تقدم من طريقته.

(١١٩) انظر: الفنون١/٦٣٩.

(١٢٠) انظر: الفنون ١/٣٨٩.

(١٢١) انظر على سبيل المثال: الفنون١/٢٩٨-٤١١-٣٨٩-٦٦٣.

وقد نبه ابن عقيل إلى أثر التقصير في الألفاظ في المناظرة؛ فالتقصير فيها قد يدخل الضيم على المعاني الصحيحة، كما نبه إلى أهمية النظر إلى المعنى المطلوب في السؤال وتحديده والإفصاح فيه، وعدم الخروج عنه(١٢٢).

فقال موضحاً:" وينبغي للسائل أن ينظر الى المعنى المطلوب في السؤال، فإن عدل المجيب، لم يرض منه إلا بالرجوع إلى جواب ما سأله عنه، فإن كثيرا ممن لا يضبط الجدل، ولا يد له فيه، يُسألُ عن شيء، فيجيب عن غيره، وهو يظن أنه قد أجاب، ويقنع منه السائل؛ إذ كان السائل أقصر منه علما بتحديد الجواب(١٢٣)".

كما يهتم ابن عقيل –غالبا– بذكر المعاني اللغوية، ومحاولة الربط بين المعنى اللغوي، والمعنى الجدلي الاصطلاحي، مستشهدا في ذلك بالقرآن والسنة، ومن أمثلة هذا بحثه لمسائل الانقطاع، وربطه بين المعنى اللغوي والاصطلاحي، حيث يقول:" الانقطاع: هو العجز عن إقامة الحجة من الوجه الذي ابتدأ للمقالة، والانقطاع في الأصل: هو الانتفاء للشيء عن الشيء، وذلك أنه لا بد من أن يكون انقطاع شيء عن شيء، وهو على ضربين: أحدهما: تباعد شيء عن شيء، كانقطاع طرف الحبل عن جملته، وانقطاع الماء عن مجراه، والآخر: عدم شيء عن شيء، كانقطاع ثاني الكلام عن ماضيه. وتقدير الانقطاع في الجدل على أنه: انقطاع القوة عن النصرة للمذهب الذي شرع في نصرته(١٢٤)". وقال:" وإنما سمي انقطاعا: لأن صاحبه وقف قبل بلوغ الغاية التي ضمن على نفسه أو رام البلوغ إليها، ومنه قالوا في العاجز عن السير مع القافلة: منقطع، فمتى وجدت العجز في كلام، فاحكم على صاحبه بالانقطاع(١٢٥)".

وفي جانب الاهتمام بالحدود والمصطلحات، فقد ظهر هذا الجانب من خلال ما يلي:

---

(١٢٢) الواضح١/٣٠١.

(١٢٣) الواضح١/٣٠١.

(١٢٤) الواضح١/٤٨٣.

(١٢٥) الواضح ١/٥٠٥.

وانظر مزيداً من الأمثلة والربط المهم في بناء المفهوم الجدلي الاصطلاحي: معنى الجواب في اللغة وارتباطه بالجواب الجدلي، وكذلك معنى الحجة في اللغة وعلاقته بمدلول الحجة في الجدل. الواضح ١/٣٠٠-٣٠١. والواضح ١/٣٣٤.

١- عُني ابن عقيل بذكر الحدود قبل تناوله للمسائل في الغالب، بل إنه جعل الكلام في المقدمات في تفسير بعض المصطلحات الجدلية والمنطقية، ومن ذلك ما ذكره في فاتحة الواضح-كما تقدم[١٢٦].

٢- حرصه على بيان اللفظ المستعمل عند الجدليين، وما يعبر به الفقهاء: كما أنه يذكر مصطلح الجدليين من غير أهل العراق، كالخراسانيين[١٢٧].

٣- تأكيده على أهمية ضبط واستيعاب المفاهيم والمصطلحات المتداخلة والمتشابهة؛ ولاسيما في باب الجدل، الذي يزخر بكمٍ كبيرٍ من المصطلحات والحدود.

ويظهر من خلال ملاحظة طريقة واهتمام ابن عقيل بالفروق ما يلي:

أ: أن فهم المصطلحات والمسائل والفصلُ بينها وبين ما يقاربها؛ يساعد في ضبط المسائل الجدلية؛ فالفروق الجدلية عتبة من عتبات تحديد المصطلح، بعد تحديد ماهيته.

ب: أن التفريق يفيد طالبه دقَّةَ النظر، وقوة الملاحظة، والتأكد من الفهم، والتفريق بين المسائل والقواعد المتداخلة، والمنهجيات المتقاربة؛ كما يُستفاد منه في دفع الشبه والاعتراضات الواردة على الأدلة والاستدلالات، فإن الاعتراض على الدليل قد يرد نتيجة عدم التفريق بين صورتين: صورة الاعتراض وصورة الاشتباه؛ ولذلك قال ابن عقيل:" وما قُرِع الناسُ في دفع الشبهة عن الحجة، إلا بإظهار الفرق[١٢٨]"؛ لذلك نلاحظ أن ابن عقيل أهتم في أكثر من موضع ببيان الفرق بين الحجة والشبهة والشغب في مقام الجدل[١٢٩]؛ باعتبار تأثير هذا الأمر في الوصول إلى الحق.

---

(١٢٦) انظر: المذكور ثالثا في منهج الجدل عند ابن عقيل.

(١٢٧) مثل كلامه عن المقدمة عند الجدليين، وهي التي يسميها الفقهاء وصفا، والحكم عند الفقهاء، هي النتيجة عند الأصوليين انظر: الواضح ١/٣٣٠/١٢٧، الواضح ٢/٣١٠.

(١٢٩) انظر: الواضح ١/٣٣٣.

وقد كان من صدر اهتمامات ابن عقيل في بدايات كتابه الواضح –وقبل أن يشرع في فصول الجدل–أن يبين ويفرق بين الآلة والغرض في علم الجدل، معتبرا بأن للنظر آلة، وغَرض: فالآلة: هي المطلوب من أجل غيره، والغَرضُ: هو المطلوب من أجله في نَفسه، كالمعرفةِ باللهِ ورسولِه، والغَرض في الجدل: هو إظهارُ الحق من الباطل، وتَحديدُ السؤال والجواب هو الآلةُ لذلك (١٣٠).

ومن ذلك تمييزه بين السؤال الجدلي وسؤال الاستفادة والاسترشاد؛ فهو يعتبر أن سؤال الاستفادة والاسترشاد لا يعتبر له شرط من الشروط المذكورة للسؤال الجدلي لأن السؤال الجدلي المقصود به: نقل الخصم عن مذهبه بطريق الاحتجاج، وأن الجواب فيه تابع للسؤال، وسؤال الاسترشاد ليس كذلك(١٣١)".

ج– اهتمام بن عقيل بذكر النظائر، وإذا كانت تنوب عن بعضها، أو إذا كان ثمة اختلاف يسير، أو معنى زائد لأحد النظائر على نظيره؛ فإنه ينبه إليه، ومن ذلك قوله:" والسؤال، والاستعلام، والاستخبار، والاستفهام نظائر، إلا أن الاستخبار: هو الطلب للخبر، والاستعلام: الطلب للعلم، والاستفهام: الطلب للفهم(١٣٢)".

واعتباره أن الحجة، والدلالة، والآية، والعلامة، نظائر، وكذلك الدليل والبرهان، ينوب بعضها مناب بعض في أكثر المواضع(١٣٣).

رابعا: الاهتمام بالنقد والترجيح

ابن عقيل رحمه الله عالم متمكن من علم الجدل وغيره؛ ولذلك فقد كان الترجيح في المسائل حاضراً بقوة في أغلب المسائل والتفصيلات التي ذكرها، ويندر أن يتعرض لحدٍ أو مسألةٍ أو دليلٍ، أو سلوكٍ ورسمٍ جدلي، ولا يبدى

(١٣٠) الواضح ١/٤٧.
(١٣١) انظر: الواضح ١/٣٠٦.
(١٣٢) الواضح ١/٢٩٨.
(١٣٣) الواضح ١/٣٣٠.

وجهة نظره تجاهها، وهو شرطه في الكتاب حين قال في تصديره:" فإن كثيراً من أصحابنا المتفقهة سألوني تأليف كتاب جامع لأصول الفقه... أستوفي فيه الحدود والعقود، ثم أشير إلى الأقرب منها إلى الصحة(١٣٤)".

وهذا الاتجاه النقدي والترجيحي عند أبي الوفاء ابن عقيل نجده في جملة من الأمور، ومنها:

أولا: أنه يجعل من قصده في البحث الجدلي، تصحيح فهم بعض الأصوليين والفقهاء للمسائل، ولاسيما فيما يكثر فيه التخليط، ومن ذلك: ذكره لمسألة تحديد العلة مما هو ليس بعلة فقال: " مسائل تشتبه في هذا الباب، ويكثر التخليط فيها بين الفقهاء(١٣٥)"، ثم توسع في عرض المسألة، وذكر أقوال الفقهاء فيها، وأدلتهم، ثم بين اختياره وترجيحه فيها، ثم قال في خاتمتها:" هذه جملة تكشف لك عن دقائق أغراض العلماء، ويمنع فهمك لها؛ من أن يخدعك خادع في هذا النوع بزخرفة كلام فارغ، فيخلط عليك الشيء بما ليس فيه، مثل أن يوهمك ما ليس بعلة علة، أو ينفي التعليل في موضعه، أو يجعل وصفا لعلة علة، أو شرطا لعلة علة، أو يعلل بأوصاف ويخلطها بحشو(١٣٦)".

وذكر مسألة كثر فيها غلط الأصوليين، وهي مسألة الاستدلال بفساد الشيء على صحة غيره؛ ونظرا لأهمية هذه المسألة؛ فقد بين ابن عقيل بأنه سيوضحها غاية التوضيح، فقال:" "فصل: كَثُرَ فيه غَلَطُ الأصوليين، حتى قال فيه بعضُ المشايخِ الأصوليين: لا أعرفُ أحداً ممن مضى من المتكلَمين، إلا وقد غَلِطَ فيه لدِقةِ مَسْلَكِهِ، وغُموضِ مَأخَذِه، وهو: الاستدلالُ بفسادِ الشيءِ على صحةِ غيرِه، وسأوضحُ منه بغايةِ وُسْعي؛ ما أضعُكَ فيه على الواضحةِ(١٣٧)".

ثانيا: نجد عنده في بعض المسائل القليلة قسوة في العبارة على خلاف عادته؛ نظراً لملاحظة ابن عقيل لجانب يؤثر على فهم المسائل الجدلية، أو الإخلال بآداب الجدل، وهذا مما لا يتساهل فيه ابن عقيل، ومن ذلك قوله:" في

---

(١٣٤) الواضح ١/٥.

(١٣٥) الواضح ١/٣٦٧.

(١٣٦) الواضح ١/٣٧٢.

(١٣٧) الواضح ١/٤٦٧.

الكلام على جُهّال منتحلي الجدل في قولهم: ليس على النافي دليل، ولا على المنكر حجة لنفيه وإنكاره، وإنما ذلك على المثبت خاصة [١٣٨]".

وانتقد صنيع بعض الفقهاء، حين تعرض لهم المشكلات، فيجيب بطريقة معينة، ويأنف من قول: لا أعلم؛ فيقول:" وإن عرضت مشكلة من الحوادث الفقهية، فسئل عنها، أنف أن يقول: لا أعلم. بل قال: يقع لي كذا وكذا! وهل الشريعة بالواقع؟ هيهات ما كان أحوج هذا المسكين إلى نفس طائعة خاضعة منقادةٍ لطاعة الله كيف جاءت، وسائلةٍ عن إحكام الله عند من كانت[١٣٩]".

وحين تعرّض لأنواع الانقطاع معتبراً أن سبب بعضها لا يقلل من شأن صاحبه، أشار أيضا إلى أنواع منها، مميزا بينها، ومشدداً النكير على من وقع في بعضها، وهي:" الانقطاع بالمكابرة: وهي عجز عن الاستتمام بالحجة إلى المكابرة، وهو شر وجوه الانقطاع، وأقبحها، وأدلها على سخف صاحبه، وقلة مبالاته بما يظهر من فضيحته، وتخليطه في ديانته، وليس ينتفع بكلام من كانت عادته أن يحمل نفسه على المكابرة[١٤٠]".

وقال:" الانقطاع بالمناقضة: عجزٌ عن الاستتمام بالحجة إلى المناقضة، وهو دون المكابرة؛ إذ قد يرى ما يلزمه على القول الأول فيرجع إلى نقيضه، ولا يكابر فيه[١٤١]".

وفي سياق ذكره لقصةٍ في مجلسِ مباحثةٍ ومذاكرةٍ، وما ذكروه في المسألة محل البحث، قال:" فبينما نحن كذلك؛ إذ دخل الموضع حشوي جاهل! فحكينا له ما جرى؛ بعد أن سأل: فيم أنتم؟ فقال: عندي غير ذلك. فقلنا: أفدنا.

---

(١٣٨) الواضح ١/٤٧٧.

(١٣٩) كتاب الفنون ١/٣٠١.

(١٤٠) الواضح ١/٤٩٣.

(١٤١) الواضح ١/٤٩٤.

فقال: ...فدهشنا من كلامه. وسكتوا؛ فبادرت أنا لأعلمه مقداره من الحمق، لئلا يظن أنه قال شيئًا، ولئلا يغتر بكلامه بعض الحاضرين ممن يناسب عقله؛ فيوهمه كلامه أنه صالح أن يعد جوابًا ثالثًا.

فقلت: يا شيخ! هذا كلام من يسقط الخطاب الشرعي والحكم العقلي(١٤٢)".

ولا يتردد بوصف من يدافع عن مذهب فاسد بقوله:" وصاحب المذهب الفاسد متحير(١٤٣)".

ثالثا: جرأة ابن عقيل، ووضوح عباراته في الترجيح؛ بعد النظر والاستدلال والمناقشة؛ فهو يصف الرأي الراجح عنده بأنه المحقق، ويذكر الدليل على التحقيق، ويطمئن الناظر في كلامه، فيقول في خاتمة بحثه لمسألة مشكلة: "وهذا موضعٌ لم يتقدمْ تحصيله؛ فلا تَستوحِشْ من وَحدَتِكَ فيه، ولا تَعتبرْ بكثرةِ ما يورَدُ عليك فيه، فإن لكلِّ شيءٍ أولًا، ولكلِّ أوَّل وقْفَةٌ من المستوحَشِ منه، فلا يرُعْك ذلك(١٤٤)".

خامسا: ضبط منهج المناظرة، وقانون الجدل وطريقته، وبيان أسباب الخلل فيه

بتتبع المادة الجدلية لابن عقيل؛ نجده حريصاً على ضبط عملية الجدل، ولذلك عقد فصلاً كاملاً عنون له بفصل جامع لقوانين الجدل وآدابه(١٤٥).

ومن أهم المسائل التي بينها ابن عقيل واهتم بها؛ باعتبارها تنظم عملية الجدل وتؤطره بشكل صحيح ما يلي:

(١٤٢) كتاب الفنون ٢٦٢/١.

(١٤٣) الواضح ٤٩٤/١.

(١٤٤) الواضح ٤٦٩/١.

(١٤٥) انظر: الواضح ٥١١/١.

أولا: تبيينه لحقيقة الجدل وشرطه: وهو أن يكون مبنياً على خلاف في المذهب؛ فلا يصح جدل مع الموافقة في المذهب، وإذا حدث جدل مع الاتفاق؛ فيكون كلام الخصمين على طريق المباحثة، فيُقدر الخلاف من باب المدارسة، والمذاكرة(١٤٦).

ثانيا: توضيحه لأسباب الانقطاع في الجدل، والعجز عن إقامة الحجة، وأن هذا يعود إما: لنقصان علم بالجدل، وعدم الدراية بوضع الأشياء مواضعها في السؤال والجواب، أو يكون لنقصان علم بالحجج، فيكون الذي قعد بالمناظر قلة علمه لا ضعف جدله، أو يكون لفساد المذهب(١٤٧).

ثالثا: أهمية معرفة السؤال والجواب وغرضهما؛ فالجدل كله سؤال وجواب، وهو يرى بأن الجدلي إذا عرف السؤال والجواب، وطريقة التصرف فيهما؛ فهذا يجمع الذهن، ويقلل التعب، ويجعل المجادل يظفر ببغيته، وتسهل عليه المسالك والإجابات، وتنثال عليه انثيالا(١٤٨).

وقال ابن عقيل في غرض السؤال الجدلي: "وغرض السؤال: تصحيح المذهب وإبطال ضده، فإذا كان بخلاف هذه الصفة فهو ساقط(١٤٩)".

رابعا: تأكيده على الاقتصار على محل الخلاف حين الجواب؛ حتى لا تطول المجادلة وينتشر الكلام، ولذلك يقول:" "وليس على المسؤول أن يجيب السائل عن كل ما يسأله عنه، وإنما عليه أن يجيبه فيما بينه وبينه فيه خلاف، لتظهر حجته فيه، وسلامته من المطاعن عليه، وإلا خرج عن حد السؤال الجدلي(١٥٠)".

---

(١٤٦) انظر: الواضح ١/٣٠٩.

(١٤٧) انظر: الواضح ١/٤٨٤.

(١٤٨) انظر: الواضح ١/٣١٦.

(١٤٩) الواضح ١/٣٩١.

(١٥٠) الواضح ١/٣٠٩.

خامسا: تبيينه لمعنى الانتقال في السؤال والجواب، وأن من أنواعه ما يكون خروجاً عن قانون الجدل، وهو يكون من السائل والمجيب، مع حرصه على بيان سبب هذه الانتقالات في مجلس الجدل، فقال: " الانتقال عن السؤال هو: الخروج عما يوجبه أوله من ملازمة السَنَن فيه، وكذلك الانتقال عن الجواب [١٥١]".

وبين السبب بقوله:" وهذا كثير مما يتم بين المخلين بآداب الجدل؛ لحرصهم على بيان معرفتهم بما سئلوا عنه، وما ينبغي بيان المعرفة بجواب المسألة الثانية، بترك قانون الجدل في المسألة الأولى الذي هما فيه؛ وذلك إذا خرج المسؤول من دليل إلى دليل آخر قبل التمام للأول، كان انتقالاً منه، ... واعلم أنه إذا دخل السائل دخول ملزمٍ بعد تحقق الخلاف بينه وبين المسؤول؛ فلا يجوز له أن يخرج عن سنن الإلزام إلى أن ينتهي إلى تحقيق أنه لازم، فكلما حاول، الخصم أن يهرب منه، رده إليه[١٥٢]".

ومن هنا نلاحظ: أن ما يبديه ابن عقيل في هذا السياق، مبني على خبرته وتجربته في مجالس الجدل؛ ولذلك فإنه يعطي تحليلا اجتماعيا لمكامن الخلل في الجدل قبل أن يكون تنظيرا: فإن بعض الجدليين ينتقل في السؤال والجواب؛ معللاً ذلك بأنهم يحرصون على بيان معرفتهم بما سئلوا عنه، مستدركاً بأن الجدلي لا ينبغي له أن يفعل ذلك، وأن يبين معرفته منتقلا بإجابة المسألة الثانية قبل أن يجيب عن المسألة الأم.

سادسا: تركيزه على تبيين معنى الحجة في باب الجدل، والتفريق بينها وبين ما يتشابه معها، وهو الشبهة والشغب؛ لأن الجدل قائم على الحجاج، والحجة عند ابن عقيل: مقدمة صادقة، لها شهادة على الحقيقة[١٥٣]، "وهي الناطقة بأن الحكم حق أو باطل [١٥٤]،"وهي بيان يشهد بمعنى حكم من الأحكام[١٥٥]"، وكل قضية لا شهادة عليها؛

(١٥١) الواضح ١/٣١٦.
(١٥٢) الواضح ١/٣١٧.
(١٥٣) انظر: الواضح ١/٣٢٨-٣٣٠.
(١٥٤) انظر: الواضح ١/٣٣٠.
(١٥٥) الواضح ١/٣٣١.

فإنما هو محض الشغب؛ ولا معنى للاشتغال به في الجدل؛ فإن الكلام في الجدل؛ إنما يعول فيه على الحجة لتظهر، والشبهة لتبطل، وما عدا هذا فهذر يقطع الوقت، ويوجب السخائم(١٥٦)".

سابعا: توضيحه لما يجب على المناظر تجاه خصمه، والاحتجاج عليه بأنواع الحجج، فقال: "وليس عليه أن يضطر الخصم إلى العلم، وإنما الواجب عليه أن يورد عليه ما يقتضي عقله صحته، فإذا تأمله، علم إن كان حجة، ولم يعلم إن كان شبهة، وعلامة ذلك: الثقة التي يجدها العاقل عند الفكرة، والشبهة لا توجد بها الثقة(١٥٧)". وهذا مبني بالتأكيد على قدر من الإنصاف بين المتجادلين، والرغبة بالوصول إلى الحق.

ثامنا: تركيزه واهتمامه بالمهمات من الطرائق الجدلية، وأهمها بحث الاستدلال(١٥٨)، وهو الذي يعول عليه الجدليون كثيرا في طرائقهم الجدلية عند الاستدلال(١٥٩)، وقد أسهب ابن عقيل في تبيين معنى الاستدلال، وتوضيحه بالأمثلة، وذكر أنواعه، وهو يذكر ابتداءً الأنواع التي صحت عنده مستدلا لها، مع التنبيه على ما لا يصح(١٦٠).

تاسعا: التفاتاته المهمة لأسباب الخلل التي تحول دون تحقيق الجدل والمناظرة للهدف منهما؛ وهو الوصول إلى الحق ودفع الباطل، وهو يحيل في هذا إلى سببين رئيسين وهما: " الإلف لمقالة سلف، أو السكون إلى قول معظم في

---

(١٥٦) الواضح ١/٣٣٣.

(١٥٧) الواضح ١/٣٢٢.

(١٥٨) ومعناه عنده: الطلَبُ للدلالةِ على المعنى، فالاستدلالُ: طلبُ الدَّليلِ، أو هو الجمعُ بين شيئينِ يشهدُ أحدُهما بالآخَرِ. انظر: الواضح ١/ ٤٤٧، والواضح ١/٤٥١.

(١٥٩) وهذا ما أشار إليه محيي الدين ابن الجوزي؛ فبعد ذكره لأقسام الأدلة الشرعية: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، ذكر الاستدلال فقال:" وأما الاستدلال؛ فهو الذي يكثر –فقهاء هذا العصر التمسك به في محافل نظرهم، ويوفرون على التفنن في أنواعه حقائق فكرهم؛ مبينا أنه إذا كان هذا النوع من الاستدلال يكثر استعماله؛ فالمتعين العناية به؛ بذكر خلاصة مضمونه، وإثبات المختار منها، مع التمثيل والتقرير، حتى يقوى الجأش عند التمسك بها. انظر: الإيضاح ص١٧٠-١٧٣.

(١٦٠) انظر: الواضح ١/٤٦٧.

النفس لا بدليل، فذلك من أعظم ما يعترض؛ فيحول بين إصابة الحق، فإذا عالج الآفة ودفع الشبهة، عاد مفيقاً من سكر الهوى إلى التأمل ثانيا لتلك الحجة(١٦١)".

سادسا: تبيينه لبعض المهارات والطرق الجدلية التي تلجأ الطرف الآخر إلى الانقطاع(١٦٢) أو تدفع حيله

يفترض أن يكون القصد من الجدل والمناظرة الوصول إلى الحق، غير أن بعض المناظرين قد يفتقد لهذا القصد وتغلب عليه مقاصد أخرى باطلة؛ فيكون من الواجب الانتباه لذلك ودفع حيلته، وهذا يقتضي وعيا، وفهما، وامتلاكا لمهارات الجدل، وإمساكا بأدواتها، وفي هذا المعنى الأول يقول ابن عقيل:" وإذا كان الغرض بالجدل إدراك الحق به، وكان السبيل إلى ذلك التثبت والتأمل، وجب على كل واحد من الخصمين استعمالهما، وإلا حصلا على مجرد الطلب مع حرمان الظفر، وحاجة كل واحد من الخصمين إلى التنبه على ما يأتي به صاحبه كحاجة الأخر إلى ذلك، قال بعض العلماء في هذا الشأن: العقل أطول رقدة من العين، وأحوج إلى الشحذ من السيف، وقد أحسن التشبيه؛ لأن العقل يحصل به درك الحق كما يدرك بالعين الشخص، إلا أن حاجة العقل إلى التنبيه على الحق أشد من حاجة العين إلى التنبيه على الشخص، ولربما أيقظ العين من رقدتها لكزة أو كلمة توجب اليقظة بسرعة، والعقل يحتاج في تنبيهه إلى عمل، وهو تخليص نظره من آفات النظر المعترضة(١٦٣)".

(١٦١) الواضح١/٤٨٨.

(١٦٢) لأن الجدل لابد أن ينتهي إلى نتيجة، وهي الانقطاع من أحد الطرفين: السائل أو المجيب، وسمي انقطاعا؛ لأن صاحبه وقف قبل بلوغه الغاية التي أمها بالعجز عن البلوغ إليها، فمتى وجد العجز في كلام، حُكم على صاحبه بالانقطاع. انظر: الواضح ١/٤٩٢.

(١٦٣) الواضح ١/٥٢٠.

وأما التنبيه إلى مآزق الجدل، ومنها الحيل، فيقول: "وكل جدل؛ فإنه ينبغي أن يتحرز فيه من حيلة الخصم؛ بإخراج السائل عن سؤاله، والمجيب عن جوابه، فإن لذلك وجوها تلطف، متى لم يتقدم في التحرز منها، حصلت المسألة من غير جواب، والجواب من غير زيادة إلا الإيهام(١٦٤)".

ومن المهارات التي ذكرها ابن عقيل في عملية الجدل:

أولا: مهارة إسقاط السؤال: وقد بين ابن عقيل أهميته وطرقه، وأن إسقاط السؤال يحصل بطرق منها:

١- الرفع للسؤال؛ ويقع بالبيان أنه يتساوى فيه الخصمان، وإذا تساوى فيه الخصمان، لم يكن على أحدهما دون الآخر، ولا أحدهما بالجواب عنه أحق من الآخر.

٢- يحصل إسقاط السؤال: بالتسوية بين الحكمين؛ في أنه إن صح أحدهما صح الآخر، وإن فسد أحدهما فسد الآخر، من غير بيان لصحته، أو إفساده.

٣- كذلك يسقط بالتسوية بين العلتين(١٦٥).

ولما بين ابن عقيل هذه الطرق، نبه على فائدتها في المجلس الجدلي، وقال:" فاعرف هذه الطريقة في الجدل، فإنها طريقة حسنة تلجيء المبطل إلى مثل جواب المحق، وإذا خفت أن يلتبس الأمر على بعض من حضر، فلا بأس أن تجيب بعد البيان لإسقاط السؤال(١٦٦)".

ثانيا: دفعُ المناظرِ المجيبِ السائلَ إلى التخليط في كلامه، ومن ثم الانتقال، أو الإمساك، أو المشاغبة، وكلها من جنس الانقطاع، فقال ابن عقيل:" إذا أتى السائل بما ليس له، ودخل معه المجيب في ذلك، وشرع في إجابته عما لا

(١٦٤) الواضح ١/٥١٤.

(١٦٥) انظر: الواضح ١/٣١٨.

(١٦٦) الواضح ١/٣١٩.

يلزمه بحكم الجدل، وكل من ألجأ مجادله إلى التخليط فقد ظفر به، سواء ألجأه إلى الانتقال، أو الإمساك، أو الشغب[١٦٧]".

ثالثا: مهارة التعامل مع المناظر إذا كان حسن العبارة، دون أن يكون معه الحق، والآخر مقصر في البلاغة، فهذا ربما أدخل الضيم على المعاني الصحيحة[١٦٨].

وهذا الامر يحتاج إلى تدبير حسب عبارة ابن عقيل؛ والتدبير في ذلك:" أن يقصد إلى المعنى الذي قد رتبه صاحبه بعبارته عنه، فيعبر عنه بعبارة أخرى تدل عليه من غير تزيين له، فإنه يظهر في نفسه ويبين العوار الذي فيه، وينكشف عند الحاضرين التمويه الذي وقع به.

وكذلك إذا أردت أن تمتحن معنى قد أتى به بليغ، فانقله إلى غير تلك العبارة، ثم تأمله، فإن كان حسنا في نفسه فإنه لا يبطل حسنه نقله من عبارة إلى عبارة، كما لا يبطل حسنه نقله من الفارسية إلى العربية، وإذا كانت عبارة السائل أو المستدل تقصره عن تحقيق الحجة والشبهة، وكان خصمه قادرا على إخراجها إلى عبارة ينكشف بها قوة كلامه، فينبغي أن يخرجها بعبارته إلى الإيضاح، فإن اتضح فيها الحق اتبعه، وإن كان ذلك شبهة بعد إيضاحها زيفه وأبطله[١٦٩]".

رابعا: مهارة دفع حيلة المكابرة؛ وهي التي وصفها ابن عقيل بأنها شر أنواع الانقطاع، وبين طريقة التعامل مع صاحبها فقال:" ولقد التجأت من مكالمة بعض من هذه سبيله؛ إلى شهادة من حضر على ما قاله، قبل أن أظهر ما يلزمه عليه؛ خوفا من جحده إياه، أو مكابرته فيه[١٧٠]".

---

(١٦٧) الواضح ١/٥٠٥.

(١٦٨) انظر: الواضح ١/٥١٨.

(١٦٩) انظر: الواضح ١/٥١٨-٥١٩.

(١٧٠) الواضح ١/٤٩٣.

خامسا: حيلة تكرار السؤال من السائل؛ موهما بأن الجواب لم يذكر، أو الخروج من المجيب عن حد السؤال. وطريقة التعامل معهما: أن يقال للسائل: قد مضى الجواب عن هذا، وهو كيت وكيت، فإن كانت زيادة سمعت الجواب عنها، وإن لم يكن إلا التكرار، فقد مضى الجواب.

وكذلك يقال للمجيب: أين الجواب عما سئلت؟ فإنك لا تزال تكرر كلاماً خارجاً عن حد الجواب عما سئلت، فإن كان عندك جواب، وإلا فأفصح بالانقطاع، فإني لا أتقبل منك ما ليس بجواب عن المسألة(١٧١).

سادسا: مهارة دفع حيلة المشاغبة، وهي نوع من الانقطاع عند ابن عقيل، ومعناها: عجز عن الاستتمام لما تضمن من نصرة المقالة، إلى الممانعة بالإيهام من غير حجة ولا شبهة.

وطريقة التعامل معها إذا وقعت: أن يفصح فيه بأنه شغب، وأن المشغِّب لا يستحق زيادة(١٧٢).

وينبه ابن عقيل إلى أنه إن لجّ المشاغب وتمادى في غيه، أعرض عنه؛ لأن أهل العلم إنما يتكلمون على ما فيه حجة أو شبهة، فإذا عري الجدل عن الأمرين إلى الشغب لم تكن فيه فائدة، وكان الأولى بذي الرأي الأصيل والعقل الرصين أن يصون نفسه عنه، ويرغب بوقته عن التضييع معه، ولا سيما إذا كان في الاشتغال به ما يوهم الحاضرين أن صاحبه سالك لطريق الحجة، فإنه ربما كان في ذلك شُبهٌ؛ بما يرى منه من حسن العبارة، واغترار بإقبال خصمه عليه في المناظرة، فحق مثل هذا؛ أن يبين أنه على جهة المشاغبة، دون طريق الحجة أو الشبهة(١٧٣).

سابعا: مهارة دفع حيلة الاستفسار، وهي كذلك نوع من الانقطاع عند ابن عقيل، ومعناها: عجز عن الاستتمام بطلب الاستفسار في غير موضعه.

---

(١٧١) انظر: الواضح ١/٤٨٩.

(١٧٢) انظر: الواضح ١/٤٩٧.

(١٧٣) الواضح ١/٤٩٨.

وسببها: أنه إذا ضاق على الخصم الكلام، مال إلى استفهام ما لا يُستفهم عن مثله، فيقول: ما معنى كذا؟ وما معنى كذا؟ وهو فرار من المستفسر بدلاً من سكتة يخجل بها، ويتضح بها انقطاعه، فيبدل السكوت بالاستفسار إيهاماً للحاضرين؛ أنه إذا فسر لي معنى هذا تكلمت عليه، وإنما المعيق لي عن الكلام، عدم فهم معناه، ويتعلق بذلك تعلق المتحير.

وطريقة التعامل معها إذا وقعت: أن المجيب لا ينبغي أن يدخل فيه ولا يتقبله، لأنه متى ما تقبل ذلك وشرع في تفسير الواضح، لزمه أن يجيب عن الأوضح، فلا يتناهى السؤال والجواب، وإنما يسوغ الاستفسار والمراجعة فيما يتردد المعنى فيه ويشترك، أو يكون في العبارة نوع تغيير وإغماض، فأما مع عدم التردد والاشتراك، فلا وجه للاستفسار(١٧٤).

ثامنا: حيل التمويه والتشاغل، والخروج عن موضوع الجدل؛ ومثاله: من ابتدأ في إنشاد الشعر على طريق الاستشهاد، أو ابتدأ في شيء من أخبار الزمان، وتصرف الأحوال؛ الذي لا يشتبه على عاقل، أنه ليس من السؤال والجواب في شيء.

وطريقة دفعها حسب ابن عقيل: أنه لا يصلح الاستبقاء على الخصم إذا ابتدأ بما يتموه أنه سؤال أو جواب، وأما إن أتى بما لا يتموه مثله، فليس على خصمه استماعه، وذلك إذا أخذ في السباب، وما جرى مجرى ذلك من التخليط الذي لا يشكل على عاقل أنه ليس من السؤال والجواب في شيء(١٧٥).

(١٧٤) انظر: الواضح ٤٩٩/١.

(١٧٥) انظر: الواضح ٥١٦/١-٥١٧.

تاسعا: مهارة الحرص والتدقيق والبعد عن تعميم الخطأ، فابن عقيل ينبه على أنه إذا كان أحد الخصمين في الجدل قد أخطأ في بعض المذاهب، فلا ينبغي الاغترار بذلك، والسبب: أنه ليس في خطئه في مذهب: دليل على أنه قد أخطأ في مذهب آخر، كما ليس في كذبه في خبر: دليل على أنه قد كذب في خبر آخر أخبر به(١٧٦).

ثم يؤكد على هذا بقوله:" فلا تلتفت إلى التمويه؛ بأن بعض مذاهب فلان يتعلق ببعض، فإن فسد واحد منها: فسد جميعها، فإن ذلك يحملك على التخطئة بغير بصيرة لمن لعله أن يكون مصيبا فيما أتى به، فاعتبر ذلك، ولا تتكل على مثل هذا المعنى، ولكن إذا كثر خطؤه، أوجب ذلك تهمة لمذهبه، وقلة سكون إلى اختياره، من غير أن يحصل ذلك دليلا على فساده لا محالة(١٧٧)".

وكذلك تنبيهه إلى أن ضلال المخالف، لا ينبغي أن يحمل المحق على التقصير في الاستدلال والطلب، فقال:" ولا يمنعك ضلال قوم في أفكارهم؛ لقصور اعتبارهم أن تهتدي بحسن الطلب؛ فلابد أن يهجم بك على حقيقة المطلب؛ لأن من أنصف، وقف على الغرض؛ ومن سامح النظر، أو سامح نفسه أو غيره في النظر، لم تلح له حقيقة الأمر والخبر(١٧٨)".

عاشرا :مهارة التأني والتأمل والصبر والحلم، وابن عقيل يعتبرها مكملة لفوائد الجدل ومقوية للجدلي، وله كلام نفيس في تقرير هذا المعنى، فيقول:" الجدل يشحذ ويرهف ويثير الخواطر، ويخرج الدقائق، وكل ذلك آلة لإدراك العقل للحق، فاذا كان لا سبيل إلى حل شبهة الخصم في الجدل إلا بعد إدراكها، فلا بد لخصمه من التأمل لما يأتي به، فإن وقع له معنى الشبهة تمكن من كسرها؛ بما يدخل عليها من الفساد الظاهر والبيان القاهر، وإن لم يقع له، راجعه في ذلك إلى أن يستقر الأمر على إظهار أنه قد أورد ما يحتاج إلى حل، أو لم يورد ذلك، فيكون كلامه أو إمساكه بحسب ما يظهر من الحال، فهذه طريقة الإنصاف، والتي يحصل له ولخصمه بها الانتفاع.. وإذا كان المجلس مجلس عصبية

(١٧٦) الواضح ١/٥١٩.

(١٧٧) الواضح ١/٥١٨-٥١٩.

(١٧٨) كتاب الفنون ١/٣٢١- ٣٢٢.

على أحد الخصمين بالتخليط عليه، وقل فيه التمكن من الإنصاف، فينبغي أن يحذر من الكلام فيه، فإنما ذلك إثارة للطباع وجلب للإفحاش، ويفضي إلى انقطاع القوي المنصف بما يتداخله من الغضب والغم المانعين له من صحة النظر والصادين له من طريق العلم(١٧٩)".

حادي عشر: مهارة الارتياض على البيان، وتسهيل العبارات والبعد عن التعقيد؛ والوقوف على المعاني؛ خدمة لمقصد الجدل، وهو نصرة الحق؛ فالألفاظ خادمة للمعاني، وقد عقد ابن عقيل فصلاً يبين فيه أهمية الرياضة والتذليل للجدل، وأن الرياضة للبيان عن الحق استدعاء إليه، وفي التعقيد وسوء العبارة تنفير عنه؛ فواجب على كل حليم أراد البيان عن الذي يأتي به من الحق، والتنفير عن الباطل الذي يأتي به الخصم، أن يستعمل الرياضة حتى تتذلل له العبارة ويتسهل له المستوعر منها؛ وحصول الرياضة بكثرة الدرس والمذاكرة، فهما الفاتحان لأبواب القرائح، والناقبان عن الأسرار، والمقربان للدلالة على المعنى بالألفاظ الوجيزة والعبارة البليغة(١٨٠).

سابعا: حرصه على المقاصد والآداب والأخلاق.

بتتبع المادة الجدلية عند ابن عقيل؛ يظهر حرصه دائما على تفعيل الجانب المقاصدي في عملية الجدل؛ فعلى الرغم من أن عملية الجدل قائمة على قدر كبير من التدافع والتنافي بالعبارات، وغرض كل واحد من المتجادلين تصحيح قوله وإبطال قول الآخر؛ إلا أننا نجد ابن عقيل يحرص على التأكيد أن الغرض من الجدل: هو إقامة الحق ودفع الباطل، كما نجد في مادته الجدلية تأكيده الدائم على الجانب الأخلاقي والآداب في عملية الجدل.

ويمكن عرض هذا الجانب عند ابن عقيل من خلال ما يلي:

أولا: تعريفه لأدب الجدل، وأنه شامل لأمور كثيرة، وهي داخلة في السؤال والجواب، فالأدب عنده: استعمال ما يحسن فيه.

---

(١٧٩) الواضح ٥٢١/١، وانظر: الجدل على طريقة الفقهاء ص٢.

(١٨٠) انظر: الواضح ٥٢٧/١.

أما في السؤال والجواب: فبضبط حدود كل واحد منهما، وتبين وجوهه، ولزوم سنته، وأما في معاملة الخصم: فبالتوفية لحقه، والتجنب لظلمه(١٨١).

ثانيا: أن استخدام الأدب في الجدل ينفع صاحبه وتركه يضره؛ حتى لو اعتقد البعض أن ترك الادب ينفع صاحبه، ولذلك قال:" وآداب الجدل تزين صاحبها، وترك الأدب يشينه، وليس ينبغي أن ينظر إلى ما يتفق لبعض من تركه من الحظوة في الدنيا، فإنه إن كان رفيعا عند الجهال، فإنه ساقط عند ذوي الألباب(١٨٢)". ويقول:" وإذا كان الصبر على شغب السائل في الجدل فضيلة، والحلم عن بادرة -إن كانت منه- رفعة، فينبغي لمن أحب اكتساب الفضائل، أن يستعمل ذلك بحسب علمه، بما له فيه من الحظ الجزيل والمحل الجليل، وليس يُنقِصهُ الحلم إلا عند جاهل(١٨٣)".

ثالثا: تقسيمه مقاصد الجدل إلى ثلاثة أقسام وهي:

١- نصرة الحق ببيان الحجة، ودحض الباطل بإبطال الشبهة، لتكون كلمة الله هي العليا، وهذا أعلى المقاصد، وهذا كالجهاد

٢- الإدمان للتقوي على الاجتهاد، والاجتهاد من مراتب الدين المحمودة، وهي رتبة الفتيا، وهي كالمناضلة؛ التي يقصد بها التقوّي على الجهاد.

٣- المغالبة وبيان الفراهة على الخصم والترجح عليه في الطريقة.

٤- وقد بين ابن عقيل أن على المتجادلين أن يجعلا قصدهما أحد الأمرين الأولين، ويجتهدا في اجتناب الثالث، ونعوذ بالله من الثالث(١٨٤).

---

(١٨١) انظر: الواضح ١/ ٥١٦-٥١٧.

(١٨٢) الواضح ١/ ٥١٦-٥١٧.

(١٨٣) الواضح ١/٥٢١، وانظر: الجدل على طريقة الفقهاء ص٢.

(١٨٤) انظر: الواضح ١/ ٥١٨.

رابعا: تأكيده على خطورة الجدل على صاحبه؛ إذا لم يكن القصد منه إقامة الحق، فقال:" وكل جدل لم يكن الغرض فيه نصرة الحق؛ فإنه وبال على صاحبه، والمضرة فيه أكثر من المنفعة؛ لأن المخالفة توحش، ولولا ما يلزم من إنكار الباطل، واستنقاذ الهالك بالاجتهاد في رده عما يعتقده من الضلالة، وينطوي عليه من الجهالة، لما حسنت المجادلة، لما فيها من الإيحاش في غالب الحال، ولكن فيها أعظم المنفعة وأكثر الفائدة؛ إذا قصد بها نصرة الحق، وإنكار ما زجر عنه الشرع والعقل، بالحجة الواضحة والطريقة الحسنة(١٨٥)".

خامسا: إلحاقه وصف المجون بفئة من الجدليين؛ إذا غاب عنهم قصد الجدل الصحيح، فقال:" وإذا كان الخصم معروفا بالمجون في الجدل، وقلة الاكتراث بما يقول وما يقال له، ليس غرضه إقامة حجة ولا نصرة ديانة، وإنما يريد المطالبة والمباهاة، وأن يقال: علا قرنه وغلب خصمه أو قطع خصمه، فينبغي أن يجتنب وتحذر مكالمته، فليس يحصل بمناظرته دين ولا دنيا، وربما أورد على خصمه ما يخجله ولا يستحسن مكافأته عليه، فينقطع في يده، ويكون في انقطاعه فتنة لمن حضره(١٨٦)".

سادسا: انتباه ابن عقيل إلى أن غياب الجانب المقاصدي في الجدل له نتائج وعواقب سيئة، ومنها الانصراف عنه، مع الاحتياج إليه فقال: "من الآفات فيه: الشبهة الداخلة على النفس في تقبيحه، أو أنه لا يؤدي إلى حق، ولا يحصل به نفع.. ومنها: المحبة للرئاسة، والميل إلى الدنيا والمفاخرة والمباهاة بها، والتشاغل بما فيه اللذة، وما يدعو إلى الشهوة، دون ما توجبه الحجة ويقضي به العقل والمعرفة، فعلى نحو هذا من الأسباب تكون الآفة الصارفة عنه.. وينبغي لمن عرف هذه الآفات أن يجتهد في نفيها وما شاكلها، ويتحرز منها ومن أمثالها، فإن المضرة بها عظيمة، فمن عرفها وتحرز منها، بصر رشده وأمن الزيغ(١٨٧)".

المبحث السابع: أهم المناظرات الأصولية الواقعية في كتاب الفنون

---

(١٨٥) الواضح ١/٥١٦-٥١٧.

(١٨٦) الواضح ١/ ٥٢٠.

(١٨٧) الواضح ١/ ٥٢٣.

سبق تبيان تميز كتاب الفنون لابن عقيل؛ بوجود المادة الجدلية الواقعية التطبيقية؛ فهو كتاب ذكرت فيه جملة من المناظرات الكلامية، والحياتية، والأصولية، والخلافيات الفقهية، ويظهر من الجزء الموجود من كتاب الفنون أنه مما كتبه في أخريات حياته(١٨٨)،وهذا يكسب المادة الجدلية فيه أهمية وتميزا وإضافة، ومن أهم هذه المناظرات الأصولية ما يلي(١٨٩):

١-مسألة: تأخير البيان عن وقت الخطاب (١٩٠).

٢-مسألة: القياس والتعليل، ورد ابن عقيل على من منع التعليل(١٩١) .

٣-مسألة: نسخ الحكم قبل وقت فعله(١٩٢).

٤-مسألة: في الأمر هل يدل على الوجوب أو يقتضيه(١٩٣).

---

(١٨٨) فقد ذكر مناظرة جرت في عزاء الشيخ أبي الخطاب الكلوذاني الحنبلي رحمه الله، قرين ابن عقيل، المتوفى سنة٥١٠هـ انظر: الفنون ٦٣٩/٢.

(١٨٩) وقد اكتفيت بتعدادها، وذكر سبب بعض المناظرات، وهي تستحق أن تدرس دراسة منهجية وتحليلية مفصلة.

(١٩٠) وقد ذكر ابن عقيل بأنها جرت بمجلس نور الهدى ذي الشرفين الزينبي. كتاب الفنون ٩/١.

(١٩١) والجواب جاء بعد ذكره لما قاله بعض أهل العلم أن تعاليل القائسين للأحكام والمعللين للأفعال أفسدت من الشريعة أكثر مما أصلحت، ونبهت العقول على ما لم تكن به شعرت. ولم يكُ في القياس والتعليل ما يرضي العقول من هذه الإقناعيات التي قامت بإزائها اعتراضات الأوائل وجدل المتكلمين. كتاب الفنون لابن عقيل ١٣٣/١.

(١٩٢) وهي مناظرة جرت مع معتزلي في مجلس حضره ابن عقيل للنظر، بحضرة القاضي الأجل أبي جعفر البخاري. كتاب الفنون ١٩٩/١.

(١٩٣) وهي مناظرة جرت في بعض مجالس النظر مع معتزلي استدل لمذهبه. وأجابه مجيب حنبلي من أهل العلم بالأصول. كتاب الفنون ٢٧٣/١-٢٧٤.

٥-مسألة: في المندوب وأنه ليس بأمر، وإنما يتجوز به في الأمر(١٩٤).

٦-مسألة دعوى العموم في المضمرات(١٩٥).

٧-مسألة الأمر وأنه لا يقتضي الإرادة(١٩٦).

٨-مسألة الأمر إذا صرف عن الوجوب إلى الندب(١٩٧).

٩- مسألة الأمر بعد الحظر(١٩٨).

١٠-مسألة الآمر هل يدخل في الأمر(١٩٩).

١١-مسألة في الحادثة إذا جرت في زمن الصحابة، فاختلفوا في حكمها على قولين؛ ثم أجمع التابعون على أحد الحكمين. فهل يصير إجماعًا(٢٠٠)؟.

١٢-مسألة التحسين والتقبيح العقليين(٢٠١).

---

(١٩٤) ذكر ابن عقيل استدلال حنبلي ناصرًا لمذهب الكرخي والرازي، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي، فقال: خصيصة الأمر في حق من يعتقد أن مقتضاه الوجوب؛ استحقاق الذم والعقوبة على مخالفته وتسمية التارك عاصيًا. ومحال أن تزول الخصيصة وتبقى حقيقة الاسم. فقال له حنبلي ينصر مذهب أحمد، وذكر المناقشة. انظر: كتاب الفنون ٢٨١/١.

(١٩٥) انظر: كتاب الفنون ١٨٤/١.

(١٩٦) انظر: كتاب الفنون ٢٨٤/١.

(١٩٧) انظر: كتاب الفنون ٢٨٣/١.

(١٩٨) انظر: كتاب الفنون ٢٩٢/١.

(١٩٩) انظر: كتاب الفنون ٣٦٦/١.

(٢٠٠) انظر: كتاب الفنون ٥٢٧/٢.

(٢٠١) انظر: كتاب الفنون ٥٤٨/٢.

١٣- مسألة انقراض العصر هل هو شرط في الإجماع[٢٠٢]؟.

١٤- مسائل التقليد والتمذهب واتباع الدليل[٢٠٣].

١٥-مسألة الاستثناء إذا تعقب جملًا، هل يعود إلى أقربها أو إلى جميعها[٢٠٤]؟.

١٦-مسألة: خبر الواحد هل يوجب العلم[٢٠٥]؟.

(٢٠٢) انظر: كتاب الفنون ٢/٥٥٤.

(٢٠٣) انظر: كتاب الفنون ٢/٦٠٢-٦١٠.

(٢٠٤) انظر: كتاب الفنون ٢/٦١٩.

(٢٠٥) انظر: كتاب الفنون ٢/٦٣٧.

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد... ففي خاتمة هذا البحث الموسوم: بالفكر الجدلي عند أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي... دراسة وصفية تحليلية؛ توصلت إلى مجموعة من النتائج، والاقتراحات والتوصيات، أجملها فيما يلي:

١-تعتبر كتابات ومواد أبي الوفاء بن عقيل الجدلية، مهمة على مستوى المؤلفات الجدلية التي جاءت بعده.

٢-من أهم مصادر الفكر الجدلي عند ابن عقيل؛ ممارسته وتجربته، وحضوره مجالس الجدل والمناظرة.

٣-استوعب ابن عقيل في مواده الجدلية، معظم المسائل النظرية الجدلية، وتميز بإضافته على مستوى الجانب التطبيقي للجدل والمناظرة.

٤-اتسم أسلوب ابن عقيل في بحث المسائل الجدلية بالسلاسة والسهولة، وحلّى مواده الجدلية بعبارات رائقة في رسوم الجدل، ومواضعاته وقوانينه؛ تختصر المعاني الكثيرة والمطولة.

٥-اهتم ابن عقيل في مواده الجدلية بذكر الحدود، والمصطلحات، والمعاني اللغوية، والفروق، والنظائر الجدلية؛ باعتبارها مكملة للفهم الجدلي.

٦-حرص ابن عقيل -ولا سيما- في المسائل الجدلية الصعبة بتصوير المسائل، وتوضيحها بالأمثلة، وإظهار أثرها وفائدتها في جانب إظهار الحق.

٧-من أهم خصائص الفكر الجدلي عند ابن عقيل هي: الإحاطة والاستيعاب لمسائل الجدل تنظيرا وتطبيقا، والاستقلالية والبعد عن التعصب، والاهتمام بالترجيح والنقد، إضافة إلى ضبطه منهج المناظرة، وقانون الجدل وطريقته.

٨-راعى ابن عقيل الحنبلي في بنائه الجدلي، تفعيل الجانب المقاصدي، والتحلي بالأخلاق والآداب؛ باعتبارها ضرورية في عملية الجدل؛ ضبطا لمجلسه، وتقليلا لانتشار الكلام، وتضييع الأوقات.

٩-حرص ابن عقيل واهتم بتوضيح أسباب الخلل في الجدل، واكتشاف حيله وتمويهاته، واقتراح طرق التعامل معها ودفعها.

١٠-ظهر من ثنايا كلام ابن عقيل في المسائل الجدلية الإضافات المهمة في مسألة الارتياض على الجدل، وتقوية القريحة، وتسهيل العبارات، وتذليل الصعاب التي يمكن أن تواجه الجدلي.

ومن أهم الاقتراحات التي ظهرت للباحث بعد استقرائه لهذا الموضوع ما يلي:

١-أهمية الدراسات المقارنة الجدلية على مستوى العالم الواحد، أو على مستوى المقارنة بين عالمين جدليين، ومن ذلك المقارنة بين كتاب: الواضح، والجدل على طريقة الفقهاء لابن عقيل، والمقارنة بين كتب أبي إسحاق الشيرازي الجدلية، وكتب المعاصرين له كأبي منصور البغدادي، وأبي القاسم الإسكافي، والخطيب البغدادي، وأبي حامد الغزالي، أو تلاميذه كأبي الوليد الباجي، وابن عقيل.

٢-الحاجة إلى دراسة المناظرات الأصولية الجدلية؛ باعتبارها تمثل تطبيقا واقعيا للمادة الجدلية النظرية؛ وأهم هذه المناظرات: ما ذكره ابن عقيل في كتاب الفنون، والفخر الرازي في كتاب: مناظرات بلاد ما وراء النهر.

٣-الاهتمام بدراسة علم الجدل من جانب مقاصدي، والالتفات إلى المدونة الأدبية الأخلاقية السلوكية الموجودة في كتب الجدليين الإسلاميين.

٤-تبيين أثر الالتزام بالأخلاق والآداب في نجاح عملية الجدل، والتمكن من إظهار الحق ودفع الباطل.

٥-دراسة الفكر الجدلي للعلماء الذين كانت لهم إضافات وإسهامات في علم الجدل؛ ولا سيما في بداياته: كأبي منصور البغدادي، وأبي القاسم الإسكافي، والخطيب البغدادي، وأبي إسحاق الشيرازي، وأبي حامد الغزالي.

٥-دراسة أثر ابن عقيل على المؤلفات الجدلية عند الحنابلة، وملاحظة مدى التقارب في دراسة المسائل والقضايا الجدلية، والترجيح فيها.

٦-جمع المسائل الجدلية الموصوفة بالصعوبة والتعقيد، أو قلة الكلام وندرته، ودراستها ومن ذلك: مسائل الاستدلال، والفرض والبناء وأنواع الحجج، وطرق الإلزام والانفصال.

٧-دراسة الأمثلة الجدلية الفقهية والأصولية، وتوصيف طبيعة القول الفقهي والأصولي في مجالس الجدل.

٨-دراسة علم الجدل دراسة تاريخية تحلل أسباب نشأته، وتطوره، واختلاف مناهج الجدل على مر الزمن.

٩-ضرورة وضع معجم للمصطلحات الجدلية؛ نظرا لافتقار المكتبة الجدلية لمثل هذا، واحتياج الدراسين لمسائل الجدل له.

وأسأل الله عز وجل، المتفضل بكل نعمة، والمتمم لكل أمر، أن يجعل هذا البحث نافعا مفيدا، ولبنة مهمة على مستوى الدراسات الجدلية؛ التي نحتاج إليها في هذا الزمن، وأن يعفو عن كل خطأ وزلل وتقصير.

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا ونبينا محمد.

فهرس المصادر والمراجع

١. **الإيضاح لقوانين الاصطلاح**: محي الدين يوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزي: تحقيق: محمود الدغيم؛ مكتبة مدبولي، القاهرة؛ الطبعة الأولى١٤١٥ هـ.

٢. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية،١٤١٣.

٣. **التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ.**

٤. **الجدل على طريقة الفقهاء**، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، مكتبة الثقافة الدينية. دم.

٥. **الذيل على طبقات الحنابلة**: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (٧٣٦ – ٧٩٥ هـ) المحقق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين [ت ١٤٣٦ هـ] مكتبة العبيكان، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٥ م.

٦. **سير أعلام النبلاء**: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة١٤٠٥.

٧. **شرح مختصر الروضة**: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: ٧١٦هـ)؛ المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

٨. **شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) المحقق: د. حمد الكبيسي، أصل التحقيق: رسالة دكتوراة، الناشر: مطبعة الإرشاد بغداد الطبعة الأولى، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧١ م.

٩. **العدة في أصول الفقه**: أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد بن علي سير المباركي، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

١٠. **عيار النظر في علم الجدل**، أبو منصور البغدادي، تحقيق: أحمد عروبي، دار أسفار، الطبعة الأولى ١٤٤١ هـ.

١١. **الفقيه والمتفقه**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار ابن الجوزي بالسعودية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ.

١٢. **كتاب الفنون**: أبو الوفاء علي بن عقيل ابن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي، تحقيق جورج مقدسي، مكتبة لبنان للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١١.

١٣. **الكافية في الجدل: المطبوع منسوبا** لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني: تحقيق، فوقية محمود، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة١٣٩٩ هـ.

١٤. **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**: محمد على التهانوى (١١٥٨ هـ)، إشراف: د رفيق العجم مكتبة لبنان: بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.

١٥. **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري؛ الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.

١٦. **مختصر نهاية الأمل في علم الجدل**، ابن المعمار الحنبلي البغدادي، تحقيق: د محمد الطويل، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم ١٤٤١ هـ

١٧. **المستصفى من علم الأصول**: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٨. **المصباح المنير**: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية.

١٩. **المعجم الوسيط**: إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٢٠. **المعونة في الجدل**: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي. حققه: عبد المجيد تركي؛ دار الغرب الإسلامي بيروت؛ الطبعة الأولى١٤٠٨ هـ..

٢١. **مقاييس اللغة**: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥ هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢.

٢٢. **المقترح في المصطلح**: محمد بن محمد البروي الشافعي، تحقيق: شريفة الحوشاني، دار الوراق بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٤.

٢٣. **الملخص في الجدل في أصول الفقه**: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، رسالة ماجستير دراسة وتحقيق: محمد يوسف نيازي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى١٤٠٧ هـ.

٢٤. **المنتخل في الجدل**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: د علي العميريني، دار الوراق والنبراس ، الطبعة الأولى١٤٢٤.

٢٥. **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٦. **المنهاج في ترتيب الحجاج**: أبو الوليد الباجي؛ تحقيق: عبد المجيد تركي؛ دار الغرب الإسلامي؛ الطبعة الثانية١٩٨٧م.

٢٧. **الموافقات**: إبراهيم بن موسى بن محمد الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق عبد الله دراز، دار المعرفة — بيروت.

٢٨. **الواضح في أصول الفقه**: أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، (المتوفى: ٥١٣هـ)؛ المحقق: الدكتور عَبد الله بن عَبد المحسن التركي؛ الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ- ١٩٩٩ م.